

بقلم: صالح مرسى



سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد
نائب رئيس مجلس الإدارة : عبد الحميد حمروش
رئيس التحرير : مصطفى نبيل
سكرتير التحرير : عادل عبد الصمد

مركز الإدارة :

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب . تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط
KITAB AL-HILAL

No-540-DE-1995
العدد ٥٤٠ - رجب ١٤١٦ هـ - ديسمبر ١٩٩٥
FAX 3625469 فاكس

أسعار بيع العدد فئة ٣٠٠ قرش

سوريا ١٠٠ ليرة - لبنان ٥٥٠٠ ليرة - الأردن ٢٢٠٠ فلس - الكويت ١٥٠٠ فلس - السعودية ١٢ ريالا - تونس ٢,٥٠٠ دينار - المغرب ١٥ درهما - البحرين ١,٢٠٠ دينار - الدوحة ١٢ ريالا - دبي/ أبو ظبي ١٢ درهما - سلطنة عمان ١,٢٠٠ ريال - غزة/ القدس/ الضفة ٢ دولار - المملكة المتحدة ٢ جك.

ليلى مراد

بقلم

صالح مرسى

دار الهلال

الغــلاف للفنان
حلمى التــونى

كلمة عنها ..

رحلت ليلى مراد .

غابت القيثارة الحزينة عن دنيانا إلى الأبد .

فاجأنى الخبر فى الصباح فلم أصدم ، فقط رحت أتطلع إلى صورتها فى الجريدة ، وقد دثرنى نوع من الحزن كالغلالة الرقيقة ... ومع الصمت تدفقت الذكريات !

متى التقيت بها لأول مرة ؟!

كان هذا فى العام التاسع من عمرى ، عندما اصطحبتنى ابنة خالى الى سينما كوزمو الصيفية فى حديقة مدينة طنطا ، وكان الفيلم المعروض هو فيلم «يحيا الحب» .

كنت طفلا كثير الحركة ، لم يكن ممكنا أن أظل فى مكانى لدقائق ، فرحتُ أتحرك بين المقاعد مسببا ازعاجاً للفتاة المسكينة التى اصطحبتنى ، ولم يفلح معى التهديد ولا الوعيد ... غير أنه فى لحظة ، وقفت فيها بطلة الفيلم على شاطئ البحر، وراحت تشدو بأغنية «ياما أرق النسيم » ... فهدأت ، وجلست ، وتشبثت عيناى بالشاشة الكبيرة ، ولم أترك مقعدى حتى نهاية الفيلم ... والى اليوم، ورغم مرور أكثر من نصف

قرن من الزمان ، لم تغادر مخيلتي - أبداً - تلك اللحظات التي غنت فيها ليلى مراد على شاطئ البحر في فيلم «يحيا الحب» ... لا الصورة ولا الصوت ولا الكلمات !!

لماذا ؟!

وكيف ؟!

لا أدرى !

ومضت السنوات ، تركت البحر والقيت بنفسي في خضم الأدب والصحافة ، حتي إذا ما تولى صديق العمر الاستاذ راجى عنايت رئاسة تحرير الكواكب ، قررت أن اكتب قصة حياتها .

كان لابد وأن التقى بها بطبيعة الحال ، ولكن كيف وهى لا تعرفنى ولم نلتق مرة ... ولقد ترددت طويلا ، ترددت شهورا وكأنى سوف أخطو إلى محراب فنى خططته فى وجدانى سنوات العمر كله ، حتى اذا كان يوم من أيام الصيف اتخذت القرار باللقاء .

●●●

حدث هذا منذ ربع قرن من الزمان، بالتحديد ، فى أحد أيام يوليو عام ١٩٧٠ ... امتطيت سيارتى الصغيرة ذات صباح ، وكنت فى الطريق إليها ... هكذا بلا موعد أو سابق

لقاء ، هكذا اتخذت القرار رغم وجود العديد من الاصدقاء المشتركين بيننا ، كان أقربهم إليها هو الفنان الراحل سعيد أبو بكر ... فضلت أن أقدم لها نفسى بنفسى ، دون وسيط أو وساطة ... ذلك أن ثمة إحساسا كان يعترينى دائما ، احساسا غامضا بأن هناك علاقة ما تربطنى بها ... علاقة المعجب ، أو المحب، وربما المتيم ... أم هى علاقة الفنان بالمثل فى أكمل صوره؟!

رحت أقطع كورنيش الاسكندرية على مهل ، كنت أعرف ما الذى أريده منها بالضبط ، كنت أريد ليلى مراد ، ليست قصة حياة، ولكن قصة انسان ، قصة فنان ... فى أية تربة نبت ، وفى أى جو صنع ... كيف روته الاحداث وكيف كبر وترعرع ونما وغنى وأطرب وأسعد الملايين بطول سنين دون توقف .

بدا لى المراد صعبا ، بل ربما ، فى لحظة ، أحسست أنه مستحيل ... ولكن ، لماذا لا أخوض التجربة ؟! لماذا لا أخطو الخطوة الأولى ؟!

كانت ليلى مراد قد اعتزلت الفن منذ بضع سنوات ، هى فى الحقيقة لم تعتزل الفن فقط ، لكنها أيضا كانت قد اعتزلت الناس ... فلماذا ؟!

طوال الطريق إلى المعمورة كنت مستغرقاً فى التفكير

وللمرة المائة رحت أتساءل : أية ليلى تلك التى أسعى إليها ؟!
... هل هى ليلى طفولتى وصباى وشبابى وأحلامى كلها ... أم
أنى كنت أبحث عن ليلى بنت الفقراء ، أم ليلى بنت الريف ، أم
بنت مدارس ، وربما كنت أسعى إلى ليلى بنت الأغنياء ... أو
... أو ليلى فقط فى «غادة الكاميليا» ؟!

اعترف أنى كنت مضطربا ... لا لأنى كنت أسعى إلى ليلى
مراد النجمة التى طبقت شهرتها الآفاق ... ولكن لأنى كنت
أسعى إلى جيلى كله ، تلك الفتاة الحلم فى الوجدان البكر ...
كنت أسعى إلى صاحبة الصوت الذى ملأنا بالحب صافيا
رقراقا دون شوائب!

تضاربت الافكار فى رأسى والسيارة تطوى الطريق الى
المعمورة ، اجتزت البوابة ، وما إن توقفت بى السيارة أمام
الشاليه، حتى وجدتها تغادر الحديقة إلى حيث سيارتها فى
الانتظار وبجوار السائق ... كأن الزمن لا يمضى ... كأنه ،
ها هنا ، يعجز عن ممارسة ذاته ... كانت ليلى هى ليلى التى
شاهدتها مئات المرات على شاشة السينما ، كانت بسيطة ،
هادئة ، رشيقة الخطى فى غير تصنع أو ادعاء ... فتح لها
السائق باب السيارة ، وما أن همت الى الداخل حتى قفزت
من مكانى مهرولاً نحوها ، ما أن استقرت فى المقعد الخلفى
حتى هتفت :

– مدام ليلى ... «صباح الخير» !

ارتدت فى مقعدها الى الخلف ، أغلق السائق باب السيارة وهو ينظر نحوى فى دهشة ، أدخلت رأسى من نافذة السيارة فجاءنى صوتها :

– «أفندم» !

هكذا قالت دون أن ترد التحية ... ها هى ذى ليلى مراد أخيرا ، هى هى بلحمها وصوتها وعذوبة لفظها ... قدمت لها نفسى ، فقالت :

– أهلا وسهلا .

قلت دون مقدمات :

– «أنا عاوز اكتب قصة حياتك» !

– «أفندم» !

كأنها على الشاشة ، لم يكن هناك فرق يذكر بين هذه السيدة الجالسة أمامى فى مقعد سيارتها الخلفى ، وبين تلك الفتاة الرقيقة العذبة التى واكبت العمر كله ... كانت هى ليلاى، بابتسامتها الحزينة الغامضة كانت ، بعينيها الباحثتين عن الحقيقة فى وجهى ، لا شئ تغير رغم مرور الاعوام ... فقط ، قليل من الامتلاء ... وحفيف الزمن كالنسيم فوق التقاطيع المتناسقة ، كأنه يخشى على الوجه الجميل من آثاره

... ثمة حزن دفين يطل من العينين ، حزن غامض ، حزن تغسله تلك الابتسامة التى تسللت الى الملامح وهى تميل نحوى متسائلة.

«قلت لى اسم حضرتك ايه» ؟!

ما أن ذكرت لها اسمى مرة أخرى حتى اتسعت الابتسامة، فوق تل من الدهشة حمل الىّ الصوت العذب سؤالاً:

«أنت اللى بتكتب فى صباح الخير» ؟!

وتنفستُ الصعداء ، وعندما جاءها الجواب تنفست هى الأخرى الصعداء ، مدت يدها الى مقبض الباب فأفسحت لها الطريق ، هبطت من السيارة وهى تطلب من السائق أن ينتظر، سارت بى إلى الحديقة ... جلست فجلست قبالتها ، ها أنا ذا مع الخضرة والماء والوجه الحسن، فى رقة تذيب الصخر قالت :

«قول لى بقى يا استاذ ... أنت عاوز ايه بالضبط» ؟!

ولقد استغرق ما أردته عاما كاملاً !!

لم يكن من السهل أن تفتح ليلى مراد قلبها ، لم يكن من السهل أن تقدم لى ابنة زكى افندى مراد ، المطرب الشهير الذى لعب دور سيف الدين أمام روز اليوسف فى أوبريت

العشرة الطيبة ... ذلك الفنان البوهيمى المتلاف الذى وقع فى حب «جميلة» ابنة صديقه ابراهيم افندى زكى موظف البنك المحترم الذى لا يعيبه سوى هوايته للفن وعشقه للموسيقى ، كما وقعت جميلة فى حبه ووقفت العائلة كلها معارضة للزواج عدا الأب الذى باركه ... فتزوجا ، وعاش زكى وجميلة فى تبات ونبات وأنجبا تسعة من الصبيان والبنات ، وكانت ليلى هى رقم ثلاثة فى الطابور .

لا ... لم يكن سهلا أن تفتح ليلى مراد قلبها ، بل وأن تخرج أحشاء ذكرياتها !

خلال هذا العام أصبحنا صديقين ... يدور المسجل بيننا كى نتحاور ونتشاجر ونتخاصم ثم نتصالح كى تعود الى الحديث وتحكى ... وأنا اليوم ، وبعد كل هذه السنوات ، إذا ما جلست إلى هذه التسجيلات واستمعت الى صوت ليلى مراد وهى تحكى ، أشعر وكأن الزمن قد تجمد ، توقف ، فالصوت لازال هو هو الصوت الآسر ، اللاعب بعواطفك وكأن من تتحدث اليك طفلة تلهو ، حتى إذا ما انتهيت ذات لحظة إلى أنها استرسلت أكثر مما تبغى توقفت فى تذمر متسائلة :

«أنا مش فاهمة أنت عاوز منى إيه» !؟

غير أنها كانت فاهمة وكانت مدركة ، ولكن ... كيف تفتح مغاليق خزانتها الفولاذية !؟

طفلة تنمو فى بيت يسهر فيه كل ليلة مجموعة من شباب الفن ... رياض السنباطي ، القصبجى ، سيد شطا ، داود حسنى ، وزكريا أحمد ... وفى بعض الاحيان كان يأتى حبيبها ومعشوقها وحلم أحلامها جميعا ، مطرب شاب خلب الألباب اسمه محمد عبد الوهاب !

فى هذه التربة ، نمت ليلى مراد !

فهل كان غريبا أن تدندن بين الحين والحين بالأغنيات ؟!

هل كان غريبا ، أن تمسك ببوق الجرامفون ، وتضع فمها فيه وتطلق لصوتها العنان كى يكبر ويتضخم بفعل البوق ؟!

فى جو عاصف فيما بين الثراء الفاحش والفقر المدقع عاشته...

فهل كانت تريد أن تصبح مطربة ؟!

أبداً !!

عندما التحقت بمدرسة «سانت آن» ، ومن بعدها مدرسة «نوتردام دى زابوتر» لم يكن يشجيها سوى تلك التراتيل فى الكنيسة كل صباح ، عندما ينداح صوتها مع زميلاتها منشدات تلك الأناشيد الدينية ... هنا وسط الفتيات من بنات الأكابر والأغنياء والبكوات والباشوات والعز والفخفخة . كانت أحلامها التى بترت ذات يوم فى قسوة ، عندما عجز الاب عن دفع المصروفات فتوقفت عن الذهاب الى المدرسة !

ويسافر المطرب الشاب زكى مراد فى رحلة فنية الى تونس والمغرب ... رحلة كان مقدراً لها أن تستمر لأربعة أشهر فاستمرت لأربع سنوات ونصف السنة ... ذلك أن زكى مراد ، وهو فى تونس ، عبر البحر إلى فرنسا عبر المحيط الى الولايات المتحدة ، حيث يعيش شقيق له كان يحضه على اللحاق به وهو يمنيه بالخير والمال ، فأهل المهجر من العرب فى حاجة الى مطرب يذكرهم بالأوطان البعيدة ... ولقد نجح زكى مراد فى البداية ، وكان يرسل المال للأسرة بلا حساب ... عاما بعد عام، ويقل المال تدريجيا ، ثم يشح ، ثم ينقطع!

وهى ... عندما انقطعت عن المدرسة كان لابد لها من الالتحاق بمدرسة أخرى ... مدرسة من نوع آخر ، مدرسة تدر دخلا ... التحقت ليلى مراد وهى لم تتعد العاشرة من عمرها بمدرسة للتطريز ، وبعد انتهاء شهور الدراسة وقد أتقنت فنون التطريز ، أصبحت لها يومية مقدارها سبعة قروش !!

أصبحت ليلى ، وهى فى هذه السن ، العائل الوحيد للأسرة ... حتى عندما عاد زكى مراد من أمريكا كانت الدنيا قد تغيرت ، اختفى المسرح الغنائى وسادت الاغنية الفردية ، عاد زكى يجتمع مع شلة الاصدقاء من الملحنين الأفذاذ الذين كانوا لا يزالون فى أول الطريق ... مع المجموعة كان هناك

عازف عود اسمه احمد سبيع ، وعازف قانون اسمه محمد عمر ... فمن الذى تذكر من هذين الفنانين ذات ليلة ، أن ليلى تغنى ؟!

هى لا تذكر ... غير أن الذى تذكره جيدا ، انهم أوقفوها فوق مائدة صغيرة وسألوها عن الاغنية التى تحب أن تغنيها فقالت : «يا جارة الوادى» .

وبدأ العزف ، العود مع القانون ، وانسال صوت ليلى يجيد ويجود، وكانت دهشة الأب شديدة ، انتهت من الأغنية فسألوها عن أغنية أخرى، فاختارت دور «ياما بنيت قصر الامانى» !

كان ذهول الجميع فوق كل تصور ... كان هذا الدور الذى أداه عبد الوهاب من أصعب الادوار فى الغناء ، كان يحتاج الى تمرس وفهم كما كان يحتاج إلى مران ... لكن ليلى غنته ، أدته ... وما أن انتهت منه حتى دمعت عينا زكى مراد !

كانت هذه هى البداية الحقيقية لمطربة من أحلى وأجمل مطربات السينما العربية فى تاريخها كله ، ففى تلك الليلة ولدت فكرة احتراف ليلى للغناء ... تلك الفكرة التى راحت تنمو وتكبر مع الأيام وتشجيع الاصدقاء ... حتى كان يوم من أيام الربيع عام ١٩٣٢ ، عندما فتح مسرح رمسيس ستاره عن

حفل احييته فتاة لا يتعدى عمرها اربعة عشر عاما ، ابنة لمطرب كان ذات يوم شهيراً ، وكان اسمها «ليلى مراد» .

●●●

خلال كل هذه الاعوام لم ألتق بها مرة ... كنا نتحدث من خلال التليفون بين الحين والحين ... ثم تباعدت المكالمات ثم انقطعت ... انقطعت يوم أحسست أنها تريد لها ان تنقطع !

بعد عشرين عاما ، دق جرس التليفون فى بيتى ذات ليلة من ليالى رمضان رفعت زوجتى السماعة ... وجاء صوت يسأل عنى :

«مين عاوزه؟!» .

هكذا سألتها زوجتى ، فاذا الصوت يجيب :

- «انا ليلى مراد» ؟

همت زوجتى باعطائى السماعة عندما أردفت ليلى:

- «على فكرة أنا مش بأعاكس ، انا ليلى مراد فعلا يا مدام» ! ..

وقالت زوجتى :

- «صوتك مايتقلدش يا مدام ليلى !»

- «مرسى» !

وتحدثت ليلى طويلا ، لعشر دقائق كاملة كانت تتحدث عن مسلسل «رأفت الهجان» الذى كان يُعرض فى ذلك الوقت ...

كانت سعيدة : «انا فرحانه لك قوى يا صالح» ! ... تصمت ، تردف : «لأ انا فرحانه بيك !» ... كلماتها العذبة تأخذنى أخذاً ... حتى اذا كانت لحظة سألتها :

«ليلى ... انتى وحشتينى قوى نفسى اشوفك» !..

« بلاش ! »

«ليه» !

مرت لحظات قالت بعدها:

«أصلى كبرت قوى . خلينى الحلم اللى كان فى قلبك» !

وكانت آخر مرة سمعت فيها صوتها ... يوم قدمت مذيعة التليفزيون المتميزة عزة الاتربى مع زميلتها ماجدة عاصم ، سهرة كاملة عن ليلى مراد ، سهرة استضافتا فيها عددا لابأس به من النقاد والنجوم والصديقات والاصدقاء وكان من حظّى ان أكون واحداً من هذه المجموعة .

ما ان عرضت السهرة حتى دق جرس التليفون فى بيتى ... رفعت السماعة فجاءنى صوتها على الفور :

- «ازيك يا صالح» !.

لسعة الحزن فى الصوت هذه المرة كانت حارقة.

- «ازيك انتى يا ليلى» !

- «انا عاوزه منك خدمة» !

- «أؤمرى» !.

«ممكن تشكر كل اللى اتكلموا فى السهرة دى بالنيابة عنى» !

ولقد فعلت ، وكتبت فى المصور منذ عامين أو ثلاثة ، نص الحوار الذى دار بيننا !

وعادت ليلى لتختفى من جديد ... حتى كان هذا الصباح الثانى والعشرين من نوفمبر الماضى ، وعرفت مع أنباء الزلزال الذى ضرب الوطن ، أن ليلى قد رحلت !



توقف سيل الذكريات وقد تذكرت انى أملك صوتها وهى تحكى لاكثر من خمس عشرة ساعة ، هرولت الى حيث كنزى الحبيس ... اخترت شريطا كيفما اتفق ، كان الشريط فى منتصفه ، وضعته فى المسجل ضغطت الزر فجاءنى صوتها غاضبا :

«أنت بتسألنى على طول ، مش من حقى أنى أسألك» !

«إسألى» !.

هكذا اجبتها فسألت:

- «ايه احلى اغنية بتحبها لى» !

- «يا ما ارق النسيم» !

- هكذا قلت دون تردد ، بدت عليها الدهشة سألت :

- «اشمعنى دى يعنى» ؟!

وحكيت لها قصتى مع الأغنية، فقالت :

- «معقولة» ؟!

- «هو ده اللى حصل» !

وساد الصمت لثوانٍ ، ثم انداح صوتها يشدو بالأغنية ..

هنا فـقط ...دمـعت عـيناى ، ومع الصـوت السـابح بلا موسيقى ، انهمر الدمع مدرارا .

وداعا يا ليلى ...

لا بل الى اللقاء !

صالح مرسى

الجيزة / ١ ديسمبر ١٩٩٥

الفصل الاول

لكل شىء بداية !



فى يوم الثلاثاء ١١ مارس عام ١٩١٩ ، سقط أول شهيد فى تلك الثورة التى اندلعت لتجتاح مصر كلها... كانت المظاهرات قد خرجت يوم ٩ مارس ، عندما ألقت قوات الاحتلال القبض على سعد زغلول وأصحابه ، لأنهم رفضوا الحماية البريطانية على مصر... وفى يوم ١١ مارس - أى بعد يومين فقط - وعند كوبرى شبرا ، تصدت قوات الاحتلال الانجليزى لإحدى المظاهرات ، وكان المتظاهرون خليطا غريبا من جميع طبقات الشعب وفئاته ، من الطلبة والموظفين والعمال وأولاد البلد ... و... والرعاع !!

وعند كوبرى شبرا سقط أول شهيد من شهداء ثورة ١٩١٩.

فى ذلك العام كان سعد زغلول قد أصبح زعيما للشعب بلا منازع ، كما أصبح سيد درويش زعيما للموسيقى بلا منافس. .. كانت ثمة ثورة أخرى قد اندلعت فى مصر ، كانت مسرحيات چورچ أبيض وعزيز عيد ومحمد تيمور وعبد الرحمن رشدى ويوسف وهبي ونجيب الريحانى تقلب وجه

الفن فى البلاد ، وكان التنافس بين الفرق المسرحية حادا وشديدا ، وكانت - قبل كل هذا ومعه وفى قلبه - موسيقى سيد درويش كالنار تسرى فى روح الشعب ... كانت موسيقاه جديدة تماما ، وغريبة تماما ، وثائرة ، ومنغمة ، ومذهلة أيضا!!

فى تلك الأيام كانت الموسيقى تهجر شكلها القديم لترتدي ثوبا جديدا ... وسمع الناس لأول مرة أغنيات عن السقائين ، والحرفيين، والحشاشين، والفلاحين، والعمال، والموظفين، و... ومصر والسودان!!

نزل الفن إلى الشارع مع الثورة ، وغنى الناس فى تلك الأيام لأول مرة أغنية: «بلادى بلادى» ... كما غنوا : «أنا المصرى كريم العنصرين» .

وبعد عام بالتمام والكمال من ذلك اليوم المشهود عند كوبرى شبرا ، وبالتحديد ، فى يوم ١١ مارس عام ١٩٢٠ ، فتحت الستار لأول مرة عن أوبريت «العشرة الطيبة».

كانت هذه الأوبريت بالذات ، من وضع مجموعة من الشبان الذين أضناهم أن يصل المسرح الغنائى فى مصر إلى ما وصل اليه من انحدار ، كانت تسخر من الأتراك والمماليك ، وتهزأ بهم وبفكرهم وأسلوبهم فى الحياة ... كل هذا والسلطان

الجالس على العرش فى ذلك الوقت «تركى»، وعرشه يسنده جيش الأمبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس ، وولى عهده - الأمير فاروق - جاء إلى الدنيا منذ شهر واحد فقط : فى يوم ١١ فبراير ١٩٢٠ .

كانت هذه الأوبريت بالذات ، محاولة للخروج من أسر التهريج الذى ساد المسرح الغنائى فى مصر حتى كاد يقضى عليه ، وكان محمد تيمور - الكاتب الشاب الذى اقتبسها ومصرها عن مسرحية فرنسية بعنوان «ذو اللحية الزرقاء» - قد مات قبل شهر واحد أيضا وهو فى التاسعة والعشرين من عمره، فلم يحظ برؤيتها ... وكان واضع أغانيها شاب آخر قدر له - كما قدر لمحمد تيمور - أن يصبح رائدا من رواد المسرح الحديث ، كان واضع الأغانى هو : بديع خيرى ... أما المخرج ، فكان شابا قصير القامة ، أصلع الرأس ، عصبى المزاج ، عبقريا ... اسمه : «عزيز عيد» .

ولقد لعب سيد درويش - فيما بعد - دور البطولة فى هذه الأوبريت ، التى يعدها نقاد الموسيقى واحدة من أكمل وأعظم ما أنتج هذا الفنان الفذ ... وكانت أغاني العشرة الطيبة تتحدث عن الشعب ، عن الفلاحين بالذات ، وتسخر من الوصوليين المتعلقين بأذيال السلطة ، المؤمنين بأنه : علشان ما نعلى ونعلى ... لازم نطاطى نطاطى نطاطى .

غير أن الغريب في الأمر ، أن العشرة الطيبة لم تنجح النجاح الذى كان مقدرا لها ، فلقد كان صيتها قد سبق عرضها بأسابيع طويلة ، وحشدت لها فرقة «نجيب الريحانى» - التى قدمتها لأول مرة - كل الامكانيات المادية والفنية ... لم تنجح العشرة الطيبة لكنها أضفت بريقا شديدا على أسماء مجموعة من الشباب اشتركوا فى تقديمها ، وكان من هؤلاء الشباب : روز اليوسف ، وحسين رياض ... و ...زكى مراد .

كانت روز اليوسف تلعب دور :« خاششبار» .

ولعب حسين رياض دور : «حاجى بابا حمص أخضر».

أما زكى مراد فلعب دور الفتى الأول : «سيف الدين» .

ولقد خلد التاريخ اسم روز اليوسف وحسين رياض كممثلين مسرحيين عظيمين، لكنه احتفظ لزكى افندى مراد بمكان فى صفحة المطربين الأفذاذ .

كان زكى مراد مطربا جميل الصوت، جميل الوجه ، وسيم الهيئة، شديد الأناقة ، محبا للحياة إلي درجة الهوس!

كان - مثل كل فنانى عصره - بوهيميا يعشق الفن والشراب وليالى الموسيقى والنساء ولقاء الأصدقاء ... وكان هذا بالتحديد هو ما يقلق زوجته الصغيرة الشديدة الجمال ،

والتى كانت تنتظره كل ليلة – لا تنام – حتى يعود إليها فى آخر الليل .

وكان لزواج زكى مراد من «الست جميلة» قصة تحدث بها الناس قبل سنوات قليلة من هذا التاريخ .

شاهدت جميلة زكى أفندى لأول مرة فى بيت أبيها الموظف بأحد البنوك ، وكان إبراهيم أفندى زكى – والد جميلة – من عشاق الطرب والموسيقى، يجتمع فى بيته بين الحين والحين مجموعة من الموسيقيين والمغنواتية ، يشربون ويأكلون ويطلقون للكاتهم العنان ، وكان زكى – الشاب العايق الوسيم – واحدا من هؤلاء الذين دخلوا بيت ابراهيم أفندى ، وشاهد زكى «جميلة». وشاهدت جميلة زكى ، ووقع كل منهما فى غرام الآخر ، غرام مشبوب رومانتيكى اعترضت عليه العائلة كلها – عدا الأب – وكان أشد أفراد العائلة معارضة للزواج هو شقيق جميلة الأكبر ، وعندما ركبت البنت رأسها ، وعندما ساعدها الأب على اتمام زواجها من زكى ، قاطعها شقيقها حتى الممات!!

وعاش زكى وجميلة فى تبات ونبات ، وانجبوا تسعة من الصبيان والبنات .

وفى يوم ١١ مارس عام ١٩٢٠ هذا كانت الست جميلة تعلم أن رجلها الوسيم الذى تعشقه النساء ويطاردنه ،

سيتأخر حتما هذه الليلة عن المعتاد ، فهذه هى ليلة افتتاح الأوبريت الجديدة ... وكان من عادة زكى مراد أن يعود إلى البيت بعد الفصل الأخير من المسرحية التى يمثل ويغنى فيها، ولا يزال الماكياج والأصباغ المسرحية تغطى وجهه ... وفى الشقة الواسعة التى تتكون من ثمانى غرف بشارع الجنزورى بالعباسية ، حيث كان يعيش طفل اسمه «نجيب محفوظ» ، وفنان شهير اسمه «محمد عبد القدوس» كانت الست جميلة تنتظر على أحر من الجمر ، وهى تردد أمتي ربنا يتوب عليك من اللى أنت فيه ده ؟!!»

رغم الحب الشديد والغيرة واللهفة ، كانت جميلة تكره عمل زوجها ، وكان زكى مراد يستأجر «مكتبا» فى نفس البيت ليدير منه شئون بعض شركات الموسيقى ويسجل لها فيه أغنيات المطربين والمطربات ، ففى الصباح كانت الشقة تمتلىء بأسماء مثل: منيرة المهدية، وسيد شطا وسعاد محاسن ، وفى الليل – إذا عاد زكي مراد مبكراً – تمتليء بشباب الفن مثل رياض السنباطى والقصبجى وزكريا أحمد وداود حسنى ... وفى بعض الأحيان كان يأتى شاب حديث العهد بالفن اسمه «محمد عبدالوهاب».

كان البيت الكبير مليئا بأفراد العائلة، بالجد والجدة ، بالخالات والعمات ، وكان مليئا قبل هذا وذاك بالأطفال ...

ولقد انجبت الست جميلة أول ما انجبت، ولدا أطلقت عليه اسم «مراد» ، وكان مراد هذا هو الأبن الأكبر في العائلة ، ثم ابراهيم الذى مات وهو طفل صغير ، ثم ليلى كبرى البنات، وبعدها أنجبت الست جميلة طفلا آخر أصرت على أن تسميه إبراهيم أيضا ، وعاش إبراهيم حتى بلغ الأربعين تقريبا ، ثم مات منذ بضع سنوات . وبعد إبراهيم جاءت ملك ، ثم منير الذى أصبح واحدا من ألمع ملحنى الأغانى فى مصر في الخمسينات والستينات ، وبعد منير جاءت عزيزة ثم أسعد ، ولقد توفى هذا الطفلان ... وكانت سميحة مراد هى آخر العنقود !!

دونا عن هؤلاء جميعا ، تفتح ليلى مراد عينيها على تلك الأيام : أيام العشرة الطيبة .

أول ما تعيه فى الدنيا : الأب الوسيم الجميل ، والشعر الرمادى الوقور، والاوفرول الأحمر المزين بالقصب الذى كان يرتديه سيف الدين فى أوبريت العشرة الطيبة ، وغيرة الأم ولهفتها، وصوت الأب فى عز الليل وهو يراجع ألحانه مدندنا مغنيا، تلتقط آذناها الكلمات والألحان ، تلتصق بذهنها الموسيقى فتسرى فى الدم ، وإذا تلك الألحان تسير معها عبر رحلة العمر ، تتذكرها الآن ، تغنى، تقارن ، تخرج بنتائج،

تسترجع اللحن بصوت الأب وهو يردد:

شفتى بتاكلنى أنا فى عرضك

خليها تسلم على خدك

يوه ياجاه النبى تنك سايح

ماشبعتش من ليلة امبارح

ماتفكرنيش أما دى حقه كانت ليلة في غاية الرقة .

... ...

... ...

وتمضى السنون ، سنوات وسنوات ، وتصبح ليلى مراد مطربة تدخل كل بيت وتغـزو كل أذن ، وإذا اللحن - نفس اللحن - يأتيها ذات يوم مركبا على كلمات أخرى !!

ولا تنسى ليلى تلك الأيام ، لا تنسى تلك الطفلة التى ولدت في يوم الثلاثاء ١٢ فبراير فى شارع الجنزورى بالعباسية ، سهرات الفنانين أصدقاء أبيها ، النغم والطرب والموسيقى والغناء المتفجر بالإحساس ، تقبع مفتوحة العينين والأذنين مساء كل سبت ، عندما كانت تعود من المدرسة لتقضى الاجازة الاسبوعية ... لا تنسى ، ولم تنس وهى تعود إلى المدرسة فى صباح كل يوم اثنين ، لتقف فى الكنيسة ، فى

مدرسة «سانت آن» بالسكاكيني أولا ، ثم في مدرسة «نوتردام دى زابوتر» بشارع الشرفا بالعباسية ... وجهان لعملة واحدة، وجهان للموسيقى ، وجه يضعها فوق الأرض فيهز جسدها النحيل الضعيف هزا ، ووجه يلمس شغاف الروح فيها فتتسامى وهى ترتل الأناشيد الدينية في الكنيسة .

كانت حياة زكى مراد عاصفة ، حياة كالموج لا تستقر أبدا على حال ، ترتفع ذات يوم فإذا المال يجرى في الأيدى بلا حساب، وتنتقل العائلة إلى شقة فاخرة هائلة ، وتقتنى سيارة ، ويدخل الأطفال أحسن المدارس ... وتنحسر يوما آخر فتبحث العائلة عن مسكن رخيص صغير ، يتكدس فيه أفرادها فى انتظار موجة أخرى تحملهم إلى وجه الدنيا من جديد .

وفجأة ... اختفى الأب .

كانت الست جميلة حاملا فى أسعد أصغر الأولاد ، ولم تكن سميحة قد جاءت بعد إلى الدنيا ، وكان زكى مراد قد قرر أن يقوم برحلة فنية ، ووصل إلى تونس ، ثم الجزائر ثم عبر البحر الأبيض إلى فرنسا ، ثم وصل العائلة خطاب منه يقول فيه ، أنه فى طريقه إلى الولايات المتحدة عبر المحيط الأطلسى!!

لم يكن اختفاء زكى مراد «هفة» خطرت برأس فنان فترك لنفسه الحبل على الغارب ، بل كان وعيا وادراكا منه لطبيعة

الأرض التى يقف عليها ... كانت السنوات قد مرت ، ومات سيد درويش ، وتداعى المسرح الغنائى ، ونما الغناء الفردى وعاد الطرب ليجلس على عرشه من جديد ... كانت الموجة الفنية التى غمرت المسرح مع ثورة ١٩١٩ تنحسر بسرعة شديدة أمام فيضان موجة أخرى لفن الميلودراما والكوميديا الرخيصة ... وكان زكى مراد قد قدر لنفسه أن يغيب عن بيته شهرين أو ثلاثة ، غير أنه غاب أربع سنوات ونصفا .

ولد أسعد ومات ، وماتت عزيزة أيضا وزكى مراد فى الخارج ... وكانت النقود تصل العائلة تباعا ، فى البداية كانت تصل بالمئات، كان لزكى مراد شقيق يعيش فى الولايات المتحدة ، ولقد أرسل الرجل اليه خطاباً يطلب منه الحضور فالجاليات العربية فى شوق لسماع موسيقى شعوبها ... مئات الجنيهات كانت تصل إلى الست جميلة فى كل شهر، وانتقلت العائلة إلى شقة أوسع، شقة بها ١٣ غرفة فرشت جميعها بالسجاجيد والأثاث ، لثلاث سنوات كاملة والكل يعيشون فى بحبوحة ... ثم بدأت النقود تقل، أصبحت عشرات ثم اختفت العشرات أيضا ، وانقطعت خطابات زكى مراد.

وبدأت العائلة تعانى ، وبدأت الأم تبيع مصاغها قطعة بعد قطعة، ثم انثنت إلى الأثاث والسجاجيد ، وأخذت الغرف تخلو

غرفة بعد غرفة ، حتى جاء يوم ، عاشت فيه العائلة فى غرفتين فقط ، وأغلقت إحدى عشرة غرفة لأنها كانت قد أصبحت خالية تماما من أى أثاث .

فى صمت ودهشة ، كانت ليلى ترقب ما يحدث ، ولما كانت هى كبرى البنات، فلقد كان عليها أن تحمل «الهم» ... كانت تذهب إلى المدرسة شهرا وتنقطع شهرا ، لكنها أبدا لم تنقطع عن الغناء، كانت تغنى فى البيت إذا ما انفردت بنفسها، وإذا كان الصوت فى الحمام يمتزج بالصدى فإن صوتها الضعيف فى الحمام كان يشتد ويقوى فتدخل الحمام لساعات تغنى ، ولما كانت غرف البيت خالية ، فانها كانت تحمل «بوق» الفونوغراف لتغنى فيه وتسمع بأذنيها صوتها الضعيف ... وهو يقوي فى الأيام التى يقدر لها فيها أن تذهب إلى المدرسة كانت تجلس وسط البنات مفتونة بذلك المطرب الشاب الذى توهج اسمه فى سماء الفن ، وحفظت ليلى كل ما كان يصل إليها من أغنيات عبدالوهاب وأدواره عن ظهر قلب... كانت تغنى وفى قلبها حزن كظيم ، وأسى مرير ، ونظرة حائرة نحو مستقبل مجهول ، أب غائب وأم تفنى نفسها من أجل العائلة ولا مال ولا ملابس وفى بعض الأحيان، لا طعام !!!

ثم عاد زكى مراد من رحلته الطويلة .

عـاد ليجـد العـائلة قـد انتقلت إلى شـقـة صـغيـرة فى حى السكاكينى ، عـاد ليـبـحث لنفسـه عن عـمل فـلا يجد ... كـان الحـال فى مصـر قد تغير كثيرا ، كان سـعد زغلول قد مـات ، وخمدت الثورة تماما ، وران على البلاد صمت آسن لا تحركه سوى أنباء المعارضات بين الحين والحين ، ولم يعد هناك سيد درويش، واختفت أسماء لفنانين عمالقة ، ولمعت أسماء جديدة لم تكن موجودة ، كان الحال قد تغير كثيرا ، وأصبح الفن غير الفن ، والدنيـا غيـر الدنيـا .. ولما كـان الرجل مـاسـونيـا فـان الماسونيين ساعدوه باقامة بضع حفلات ، ولكن إلى متى ؟! ... كان هذا هو السؤال!!



ذات ليلة . كانت هناك حفلة ...

لا أحد يسـتطيع اليوم أن يزيح الأيام ليكشف عن حقـيقة تلك الليلة ، كل مـانسـتطيع أن نـعرفه عنهـا ، أنهـا كـانت فى بداية عـام ١٩٣٢ ... وكـان هناك – كـالعـادة – مـجـمـوعـة من الفنانين أصدقاء الأب ، أسماء قدر لها أن تصبح علامات على طريق الموسيقى ، كان هناك داود حسنى ومـحـمـد القصـبـجى وسيـد شطا ورياض السنباطي ، وزكريا أحـمـد ، وكـان هناك عازف عود اسمه أحمد سبيع ، وعازف قانون اسمه محمد

عمر ... أكل الجميع وشربوا ، وعزفوا وغنوا ، وأوغل الليل ، ولا أحد يدرى من الذى صاح طالبا من ليلى أن تغنى ، دونا عن أفراد العائلة كلها ، كانت ليلي هى شغل أبيها الشاغل الشاغا منذ عودته من الخارج ، كانت طفلة ضعيفة ، هزيلة الجسد، نحيلة القوام ، تكره الطعام ، حتى لقد ظن الأب أن بها مرضا ... ولقد كان زكى مراد على استعداد لأن يسمع أى نبأ إلا أن يسمع أن ابنته هذه تغنى ، كان على استعداد لأن يصدق أى شىء إلا أن هذه «المفعوصة» تغنى ... حملوها فى تلك الليلة المجهولة وأوقفوها فوق إحدى الموائد ، وأمسك أحمد سبيع بالعود وسألها : حاتغنى إيه ياليلى ؟!

وغنت ليلى ..

كانت أغنيتها الأولى أمام جمهورها هذا الصغير ، هى : ياجارة الوادى .

وإذا كانت دهشة الأب والأصدقاء شديدة لذلك الاتقان الذى أدت به ليلى الأغنية ، فإن دهشتهم ازدادت ، عندما طلبوا منها أن تغنى مرة أخرى ، فغنت أحد أدوار عبد الوهاب أيضا ، وهو دور : ياما بنيت قصر الأمانى.

بدا الأمر لزكى مراد وكأنه حلم ، ولم تكن ليلى تعلم أن هذا الدور الذى غنته من أصعب الأدوار أداء ، وانه يحتاج إلى

مقدرة ومراس وتدريب ، وأن أباها كان يتلقى تهانى الأصدقاء وهو مـذهـول ... مـتـي تدربت علي الغناء ومن دربهـا حـتـي استطاعت أن تتقن الأداء إلى هذا الحد؟!

وسط صيحات الاعجاب والتهانـى ، كان ثمة حقيقة رسخت فى ذهـن الأب المكدود فـى تلك الليلة المجـهـولة فى بداية عـام ١٩٣٢، هذه الحقيقة هى : أن ليلى مطربة!!

وانصرف الأصـدقاء ، وأوى الجميع إلى أسرّتهم ، وأطفئت الأنوار ، ووضعت ليلى رأسها على الوسادة وراحت في سبات عميق .

وسـاد الـهـدوء مع الظلام ، لكن عـينا زكى مـراد ظلتـا مفتوحتين ، كان ثمة خاطر ، وكان ثمة إحسـاس اطار النوم من عينيه .



لم تكن ليلى الصـغيرة تحلم ، أو تفكر، أو يخطر لها على بال... أن هذه الليلة سوف تقودها إلى مجد عظيم .

كانت هذه الليلة المجهولة فى عـام ١٩٣٢ ، هى بداية «ليلى مراد» ... التى ظلت – رغم انقطاعـهـا عن الغناء ما يزيد علي الخمسـة عـشـر عـامـا – ملء الاسـمـاع ، يحـفظها أبناء هذا الجيل، مثلما نحفظها نحن تماما .



الفصل الثانى

عروس النيل تستعد للزفاف !



رغم كل شىء كانت ليلى الصغيرة تشعر أنها تنتمى إلى عالم آخر يختلف عن هذا العالم المزدحم فى البيت ، وبالرغم من ارتباطها بكل فرد من أفراد الأسرة ، وبالرغم من إحساسها بالمسئولية تجاه الكبير والصغير ، فإنها كانت تشعر فى أعماقها بأنها تنتمى إلى هذا العالم الآخر ، عالم الراهبات فى مدرسة «نوتردام دى زابوتر» حيث زميلاتها وصديقاتها من طبقة تحمل ألقابا طنانة ، وتحمل مع الألقاب أموالا بلا حصر ، وتحيا بعيدا عن تلك الموجات المتعاقبة من الفقر والغنى ، تروح وتجىء على البيت بلا ضابط وعلى غير انتظار .

غير أن ارتباطها بالراهبات ازداد عندما انحسرت موجة الغنى نهائيا ، وطغت موجة الفقر ، فكانت كلما عادت فى يوم السبت المقدس هذا حيث تجتمع العائلة كلها لا ينقصها فرد من أفرادها ، تكتشف أن ثمة شيئا فى البيت قد اختفى ، ورغم الأثاث البسيط الذى انتقلت به العائلة من العباسية إلى السكاكينى أولا ، ورغم أن المسكن الجديد لم يكن يتعدى ثلاث

غرف ، فإن الاثاث كان يختفي، وكانت هى تسأل فلا تجد سوى همهمات أو إجابات مبهمة ، وكانت هى تعرف وتكتم أنها تعرف ، وتعلمت ليلى وهى تحبو نحو المراهقة كيف تكتم عواطفها ، وكيف تضع على وجهها قناعا يخفى ما يعتمل فى نفسها ، حتى ولو كان هناك أتونا يلتهب ، ولازمتها هذه الطبيعة حتى اليوم ، وأفادتها فى رحلة الحياة فائدة لم تكن تخطر لها على بال !

ولقد علمت ليلى بعد تلك الليلة المجهولة أن أصدقاء أبيها اعجبوا بصوتها وتحمسوا له . ووصل حماس البعض منهم إلى حد أن اقترح على الأستاذ زكى ، أن تحترف ابنته الغناء. عرفت ليلى هذا لكنها تجاهلته ، بل تمنت لو أنها لم تعرفه ، بل أنها أحست بالكراهية الشديدة لهؤلاء الذين كانوا يطلبون منها أن تغنى فيما بعد تلك الليلة ... ثمة إحساس دفين بالسعادة كان ينتابها كلما انساب صوتها فى أغنية من أغانى عبد الوهاب بالذات ، هذا حق ... لكن إحساسها هذا لم يكن يضارع - بشكل أو بآخر - إحساسها بالانتماء إلى المدرسة ، إلى الصاحبات والزميلات ، إلى بنت فلان باشا وفلان بك والوجيه فلان الفلانى . إلى هذا العالم المسحور المليء بالمجوهرات والحب والقصور والسيارات ، العالم الذى ذاقته

يوم أن كان المال يجرى بين يدى أبيها بلا حساب ... إنها تنتمى إلى هذا المجتمع لا إلى ذاك ، انتماؤها إليه أقوى من كل شيء ... حتى ولو كان هذا الشيء هو الغناء !!

ورفض زكى مراد الفكرة أساسا ، كان محمد عمر القانونجى وأحمد سبيع العواد بالذات هما أكثر الناس حماسا لصوتها ، كانا يطلبان منها إذا ما اختليا بها أن تغنى ، وكانا يطربان لصوتها ، ويعزفان لها ، ويصححان أخطاءها البسيطة ... وفى كل مرة كان يتحمسان أشد الحماس لفكرة احترافها الغناء ، ذلك أن هذه الفتاة الصغيرة النحيلة ، كانت تملك أذنا موسيقية مذهلة ، وقدرة عجيبة على استيعاب الألحان !

ولقد كان محمد عمر وأحمد سبيع فنانين - هذا حق - لكنهما كانا - على أى الأحوال - مجرد آلاتية يقبعون أسفل سلم المجتمع الشاهق الذى كانت ليلى تنتمى اليه بخيالها .

حتى جاء يوم كان على زكى مراد أن يواجه فيه الأمر الواقع ، وكان على ليلى أن ترضخ فيه للحقيقة ، وأن تنقطع عن المدرسة نهائيا .

لم يعد ممكنا أن يدفع زكى مراد مصاريف المدرسة وقد باع أغلب أثاث البيت الصغير ، ولم يكن هذا ليؤثر فيه بشكل

أو بآخر، فكما عودته الأيام أن تجرى بالمال بين يديه بلا حساب ، فلقد عودته أن تمسك عنه الرزق بلا حساب أيضا ... وتراكم أجر البيت شهورا حتى أصبحت ليلى تتجنب لقاء صاحبة البيت ، وتكرهها ، لأنه ما من مرة رأتها تلك المرأة على السلم أو فى الطريق ، إلا وذكرتها بالأجرة المتأخرة، وطلبت منها أن تخبر أباها أو أمها أنها لن تحتمل تأخيرا أكثر مما احتملت ... ثم جاء يوم قطع فيه التيار الكهربائى لأن العائلة لا تملك ثمن ما استهلكته من نور ، وكان من الممكن أن يستغنى زكى مراد عن كل شىء ، عن الأثاث ، عن النور، وربما عن وجبة غذائية ، لكنه أبدا لم يكن يستغنى عن التليفون ... ففى وسط هذا البيت الذى أصبح شبه عار من الأثاث، كان التليفون هو وسيلته الوحيدة للاتصال بعالمه، هو الدليل الحى الباقى على أنه فنان... وكان التليفون يدق أحيانا، ويصمت فى غالب الاحيان ... ثم جاء يوم كان على ليلى – وهى لم تزل طفلة – أن تجد حلا للموقف كله .

ولكن كيف ؟!

ولماذا هى بالذات ؟!

وإذا كان مراد – الأخ الأكبر – قد استقل عن العائلة ووجد عملا وسكن بيتا مستقلا ، فإن عليها – بدورها – أن

ترفع عن العائلة عبء طعامها على الأقل ، كان على كل فرد - في مثل هذه الظروف ، ومهما كان عمره أو تجربته - أن يخوض معركة الحياة مسئولا عن نفسه ... ولقد انتهى عهدها بالمدرسة إلى الأبد واستنفدت كل الحجج - من المرض إلى السفر ثم إلى الزواج من ابن عم لها - حتى تقنع الراهبات اللاتى كن يسعين إلى البيت للسؤال عنها ، بأن حياتها قد أخذت مسارها الطبيعي ، كما استنفدت الراهبات كل الأساليب لاعادة هذه الصبية ذات الصوت العذب الذى كان يترنم بالأناشيد فى الكنيسة فى كل صباح ... انتهى عهدها بالمدرسة وبدأت تبحث عن مهنة تتعلمها ، أى مهنة إلا أن تصبح مطربة!!

ووجدت ليلى الحل ذات يوم ، وجدته فى مدرسة للتطريز غير بعيدة عن البيت ، وكانت هذه المدرسة تعلم الفتيات أشغال الابرة والكروشيه والبرودريه والاويبسون والكانافاه، ثم تعطى للفتاة - إذا ما اجتازت فترة معينة للتمرين - أجرا قدره سبعة قروش فى اليوم .

فى هذه المدرسة أكبت ليلى على اشغال الأبرة بلا كلل ، لم يكن هدفها هو القروش السبعة وإن كانت هذه القروش - فى ذلك الزمان - تشكل دخلا لا بأس به ، ولكن كان هدفها أكبر،

وطموحها أعظم، لقد وجدت هذه الصبية الصغيرة فى أشغال الأبرة بحرا تغرق فيه همومها وأحلامها ، ووجدت فيه قاربا قد يقودها ذات يوم إلى شاطىء المجتمع الذى عاشته يوما فى مدرسة نوتردام دى زابوتر ، ففى بعض أشغال الأبرة ، ما لا يمكن أن يقتنيه إلا أصحاب القصور والألوف ... وسرعان ما مضت فترة التدريب وأصبحت ليلى تتقاضى سبعة قروش فى اليوم ، وبدأت - على الفور - تتطلع إلى الاستقلال ، فراحت تقتصد من قروشها القليلة ما مكنها من أن تدفع القسط الأول من ماكينة خياطة لاشغال البروديريه، وأصبحت تعود من المشغل لتنكب على الماكينة فى البيت ... كانت تعمل وتعمل وتعمل ولا تكف . واتقنت - وهى تضع على كتفيها الصغيرين عبء العائلة كلها - كل الاشغال، من البتى بوان إلى الاوبيسون إلى البروديريه ... كانت تكدح وتتعب وتتغلب على التعب دائما بالدندنة ... بالغناء !!

... ...

... ...

فى البداية كان الأمر صعباً للغاية ، كان زكى مراد فنانا له اسم كان يدوى مثل الطبل قبل سنوات قليلة ، وكان انتماء فتاته إلى هذه المدرسة التى تعطى أجورا لبناتها أمرا يحز فى

نفسه ، وكان استمراره فى السكاكينى قد أصبح محالا بعد أن تراكم أجر البيت وانقطع النور ، فجمع أثاث البيت ذات يوم وهاجر من السكاكينى إلى حدائق القبة ...

وفى حدائق القبة بدأت الأمور تستقر بعض الشىء ، لم يعد فى البيت من الأولاد سوى ابراهيم وملك ومنير وسميحة بعد رحيل مراد ، وكانت ليلى تنكب على الماكينة طوال اليوم ... غير أن أهم ما تذكره ليلى زكى مراد في شقة حدائق القبة، على الاطلاق ، هو أنها الشقة التى شاهدت فيها محمد عبد الوهاب معشوقها وفتي أحلامها ، وفنانها المفضل - حتى آخر يوم في حياتها- لأول مرة!

رغم كل ما وصل اليه الحال فى بيت زكى مراد ، فان سهرات الشلة لم تنقطع عنه أبدا ... لا فى السكاكينى ، ولا فى حدائق القبة ... كانت هذه السهرات تحدث بلا تدبير ، وكان الرجل - رغم كل ما وصل اليه - فنانا يعشق الفن ويعيشه ، وكان أصدقاؤه كلهم من الفنانين ، وكان بيته مفتوحا دائما لهم ، وفى بعض الأحيان كانت ليلى تغنى إذا ما طلبوا وإذا ما تمنعت بقدر كاف وإذا ما ألحوا فى الطلب ... وتعودت ليلى أن تسمع الغناء ، وتعودت أن تسمع سؤالا يتردد : «ليه ماتغنيش؟!»، وتعودت أيضا أن تسمع صوت أبيها يصيح:

«لا... البنت لسه صغيرة!» ، لكنها كانت تشعر فى كل مرة أن الصوت كان يخفت، وأن نبرة الرفض كانت تخف ... كانت تعلم عن يقين ، بأن هذا اليوم الذى سوف تحترف فيه الغناء ، آت لا ريب فيه .

أصبح الأمر مثل قدر يطاردها ، وأصبح الكتمان جزءا من طبيعتها ... وإذا كان رفض زكى مراد للأمر قد أصبح مع الأيام مجرد همهمة لا تبين ، فلقد كان عليها أن تفكر ، وتدبر... ماذا ستقول لو فاتحها أبوها ذات يوم بالأمر كله !

ثم جاء هذا اليوم ...

كان من عادة زكى افندى مراد أن يرتدى فى بيته جلبابا أبيض ، وأن يقبع فى غرفته ممسكا بالعود ليغنى ويدخن ، كان يدخن بشراهة حتى كرهت ليلى التدخين ، وكان الوقت مساء فى ذلك اليوم ، وثمة خلاف بين الست جميلة وزكى افندى ، وكل منهما قد لوى بوزه مقموصا من الآخر ، وسمعت ليلى صوت أبيها يناديها ، فدق قلبها، وأيقنت – لطول ما انتظرت وترقبت وخمنت وقدرت – أن الساعة قد حانت ... وخطت اليه تحملها نحوه عشرات المشاعر المختلطة المتضاربة ، الرفض والقبول ، المهانة والرضا ، الشهرة والمال ... و... ولا منقذ ، لا منقذ لهذه العائلة إلاها !!

دخلت الغرفة وهى تعلم مقدما ماذا سيقول ... جلست اليه وراحت ترقبه وهو يدخن بشراهة شديدة ، لم يواجه نظراتها ، وجاءها صوته متعثرا :

«انتى بتحبى المغنى ياليلى ؟!»

هكذا بلا مقدمات دخل الرجل فى الموضوع. وكانت تعلم أنها لا تستطيع أن تنكر ، كانت تعلم هذا لأنها كانت موقنة مما وراء السؤال ، فقالت بصوت ثابت :

«أيوه يا بابا باحب المغنى!»

«إيه رأيك لو علمتك عود ؟!»

لم ترد عليه ، ففى هذا الوقت بالذات أحست وكأنها ضحية، ترامت لها ذكريات المدرسة والصديقات والزميلات ونظرة المجتمع للمطربات ، اندب الحزن فى قلبها عارما فلم تنطق ، وعاد صوت الأب يردد :

«اسمعى ياليلى ، أنا فنان وأعرف قيمة صوتك، انتى.........»،

تركته يتحدث ولم تعد تسمع ما يقول ، فماذا بعد ؟! ... لسوف توافق ولسوف تغنى أن أفلحت ، قدر مكتوب ولا مفر ... وكأن الرجل أحس بما يعتمل فى نفسها ، فسألها فجأة :

«طيب ايه رأيك لو خليت واحد من الفنانين الكبار يسمعك؟!»

«زى مين يعنى؟»

«عبد الوهاب!!»

وانتفضت ليلى ، لم يكن يعنيها أى اسم الا هذا الاسم، لم تكن تهتم بأن تلتقى بفنان الا عبد الوهاب شخصيا ، بذاته ، بلحمه وشحمه ، بشبابه ، بصوته الرخيم ، بكل ما حفظته له من أغنيات ، بكل ما رددت له من ألحان ... فهل تستطيع أن تغنى أمامه!!

«أنا حانكسف أغنى قدام عبد الوهاب يابابا!».

وتنفس الأب الصعداء ، ومهما كان ردها إلا أنه لم يكن يحمل الرفض ، وهذا ما كان يريده فقط ، لا شىء إلا أن توافق ، وتدفق الحديث من بين شفتيه وراح يتحدث عن عبد الوهاب حديث الواثق الفاهم، إن عبد الوهاب فنان كبير ، ذكى، وعبد الوهاب بالذات ، سيكون له مع الأيام شأن كبير...

ولم تمض بضعة أيام حتى جاءها زكى مراد بالنبأ ... سوف يأتى عبدالوهاب غدا - خصيصا - لكى يسمعها !

ومضت الساعات ولا تعرف ليلى كيف مضت ، احساسان متناقضان تماما يمزقانها، لكنها كانت قد استطاعت أن تكتم - حتى عن نفسها - مشاعرها ... هناك فرحة بلقاء عبدالوهاب ، وهناك فرحة عروس النيل بالموت فى سبيل الإله ... والإله هنا هو العائلة !!

وعندما جاء عبدالوهاب لم يكن وحده ، كان معه الدكتور بيضا وايزابيل بيضا ، وكان الثلاثة هم أصحاب شركة بيضافون .

ودخلت ليلى تتعثر فى خطاها . فتاة صغيرة نحيلة نحيفة، بلا صدر ولا ظهر . من يراها يحسب أنها لم تعرف للطعام مذاقا ... نظر اليها المطرب الشاب وسألها :

«تحبى تغنى إيه يا ليلى؟»

تمنت لو أنه ظل يتحدث إلى الأبد، جاءها صوته كأنه تغريد بلبل على غصن شجرة...

«أغنى : ياما بنيت قصر الأمانى!»

وارتفع حاجبا عبد الوهاب دهشة ، لقد اختارت الدور الصعب،

«كده مرة واحدة ؟!»

« ايوه يا استاذ !»

وامتدت يده إلى العود يضبط أوتاره ... وساد الصمت، وبدأ عبدالوهاب يعزف ، وغنت ليلى، وكانت تغنى له ... معبود النساء والفتيات فى مصر جالس أمامها يستمع اليها ويعزف لها ، لم تعد تسمع أو ترى أو تعى ، غرقت فى اللحن فذابت فيه ، تموج صوتها وانداح علوا وانخفاضا ، كانت ليلى ترتل

فى محراب سري لا يعرفه إلاها ... وانتهى اللحن ، وهبطت من دنياها إلى دنيانا ، وجاءها صوت عبد الوهاب :

«دى حاجة عظيمة خالص !»

«مرسى»

«بتغنى ايه كمان !»

«أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعه !»

وعزف عبد الوهاب ، وغنت ليلى ، غنت، غنت بكل أذنيها عندما كانت تسمع صوت أبيها وهو يتدرب ، غنت بكل حزنها الغريب الذى بلا سبب ، وغنت بعدها : «أراك عصى الدمع » للشيخ أبو العلا ، غنت، بكل قلبها ، بكل احساسها بالمهانة والألم والحرمان من المدرسة والراهبات وترتيل الكنيسة غنت ... حتى إذا ماانتهت سمعت صوته آتيا من بعيد ، كأنه يأتيها من عالمها هذه المرة :

«ياأستاذ زكى ... انت مخبى إزاي ليلى عننا الوقت ده كله؟!»

ولم تستطع ليلى أن تحتمل الأيام .. فغادرت الغرفة ، هرولت يمزقها الاحساس الشديد بالسعادة ، والشعور الدفين بالحزن معا !..



ولا تدرى ليلى ما الذى حدث بعد ذلك بالتحديد ، لا تفاصيل ولا أحداث ، غمرتها الأيام بطوفان من العمل فحملتها حملا إلى حيث قدر لها أن تصبح واحدة من أشهر مطربات عصرها ، إلى حيث رسم لها زكى مراد طريقها، دخل عليها أبوها الغرفة وكانت غارقة فى مشاعرها متلاطمة متضاربة . فرحة وحزينة ، سعيدة وتعسة .. وهى لا تدرى حتى كتابة هذه السطور سر ذلك الحزن الذى سيطر على مشاعرها ، سر ذلك الاحساس الغامض بالتضحية وكأنها مصلوبة . قال الأب :

«الأستاذ عبد الوهاب مبسوط منك قوى يا ليلى !»

ولم ترد عليه ليلى ، خفق قلبها لأن المبسوط – فقط – هو عبدالوهاب.

«أحنا حانبدأ من بكره يابنتى ، حاتحفظى الأدوار القديمة كلها!»

ظلت صامتة مستسلمة لا تفهم ما معنى هذا فعبد الوهاب لا يغنى الادوار القديمة!

« فى ظرف سنة الاستاذ عبدالوهاب حايعمل معاكى عقد بعشر اسطوانات!»

هل تراه مرة أخرى هذا الذى يسرى صوته إلى القلوب مباشرة؟!

«بس المهم إننا نعمل حفلات ، لازم نعمل حفلات!»

وسقطت دموعها فخرج الأب صامتا مطرقا ، انكمشت على نفسها تريد أن تختبىء من الناس ولكن أين المفر ، لسوف يصبح عليها أن تواجه الألوف من الناس ... وعندما جاء أحمد سبيع بعوده فى اليوم التالى ليدربها كانت قد استعدت تماما للعمل ، حزمت أحزانها ووضعتها فى ركن قصى ، وارتدت قناعا باسما وأخذت تنصت باهتمام ، وراحت تغنى ، وتتدرب، وتحفظ ... ولم يعد أحمد سبيع وحده هو الذى يدربها ، ففى الأيام التالية جاءها داود حسنى وزكريا أحمد والقصبجى وأصبح أبوها يجلس اليها أكثر من ذى قبل، ويدير لها اسطوانات سيد درويش وألحانه : «احفظى كويس يا ليلى ... هى دى المزيكة اذا كنتى بتحبى المزيكة!» .. يوم بعد يوم ، وأسبوع بعد أسبوع ، وبدأ الاستعداد للحفلة ، ولكن الحفلة تحتاج إلى صالة، والصالة تحتاج إلى أجر، والأجر يحتاج إلى مقدم ، ولم يكن زكى مراد يملك مالا يدفع به أجر المسرح، وعندما ذهب إلى يوسف وهبى يريد استئجار مسرح رمسيس - مسرح نجيب الريحانى الان - وافق الرجل على الفور ، ورفض أن يأخذ مليما من إيجار المسرح الا بعد الحفلة، ونشط زكى مراد فباع الحفلة كلها لاصدقائه من

الفنانين والصحفيين والنقاد والأعيان ، ولم تكن اسماء مثل:
نجيب الريحانى وروزاليوسف ومحمد التابعى ويوسف وهبى
وبديع خيرى تعنى بالنسبة اليها شيئا ، كانت الأيام تحمل
للأب تفاؤلا راح يشع من عينيه ، وبدأ البيت يجد حاجته من
المال، وعندما تقرر وضع البرنامج ، كان لابد أن تقدم ليلى
أغنية جديدة على الأقل ، أغنية تشترى هى كلماتها وتلحن لها
خصيصا ... وفى ذلك الزمان، فى النصف الأول من مايو عام
١٩٣٢ على وجه التحديد ، كان فى مصر مطرب مشهور له
معجبون ومعجبات ، وكان اسمه «أحمد عبدالقادر»، وكان
عبدالقادر هذا يغنى للحن شاب ظهر حديثا اسمه رياض
السنباطى ، وكان السنباطى فنانا لامع الموهبة ، التقطه زكى
مراد بكل خبرته وتجربته وعهد اليه بأغنية يلحنها لابنته ، وقدر
للسنباطى أن يكون أول ملحن يضع لحنا خصيصا لليلى
مراد، وقدر لليلى أن تغنى ، أول ما تغنى، أغنية من تلحين
السنباطى .

كان مطلع الأغنية يقول : آه من الغرام والحب آه.

وجاء السنباطى إلى البيت ، وجلست اليه ليلى ، وسمعت،
أصاخت السمع، وتدربت ، وحفظت اللحن الجديد. واتقنت
لحنين قديمين هما : فى البعد ياما كنت انوح ، ثم : افديه إن
حفظ الهوى أو ضيعه للشيخ أبو العلا .

واقتربت الليلة الأولى ، أصبح كل شيء جاهزا ، المسرح والتذاكر والدعوات والأغنيات ... وهنا ، هنا فقط ، تنبه الجميع إلى ليلى نفسها ، نظروا اليها طويلا فسقطت قلوبهم بين ضلوعهم ، ذلك أنه من المستحيل أن يقنع مثل هذا الجسد الضامر النحيل ، بلا صدر وبلا جسد ، مئات من السميعة ... ولسوف تبدو ليلى ، إذا ما فتحت عنها الستار بحالها تلك ، كطفلة فى التاسعة من عمرها ... فماذا يفعلون ، ماذا ترتدى، وكيف تبدو للناس فتاة ناهدة ناضجة مقنعة !؟

فى ذلك الوقت ، كان هذا إشكالا ، وكان لابد من حل لهذا الإشكال...

الفصل الثالث

سر الفستان الأسود



فى يوم الاثنين ١٦ مايو عام ١٩٣٢ نشرت مجلة الكواكب في باب «بينى وبينك» خطابا من الزقازيق موقعا باسم الأيوبى، وكان صاحب الخطاب يسأل : هل نجحت الآنسة ليلي مراد، وما رأيكم في مستقبلها؟!... وردت المجلة علي القارىء بقولها : ظهرت الآنسة ليلى مراد فى حفلة واحدة علي مسرح رمسيس ، وقد شهد لها جميع من سمعوها ، باستعدادها الطيب ، وتنبأوا لها بمستقبل زاهر !

كانت الكواكب قد صدرت منذ أسابيع قليلة ، بالتحديد فى ٢٨ مارس عام ١٩٣٢ ، وكانت ملحقا فنيا لمجلة المصور ، وكان ثمنها خمسة مليمات ، وكان هذا الخطاب مع التعليق ، هو أول شيء ينشر عن ليلى مراد فى مجلة الكواكب !

كانت الحفلة الأولى لليلى مراد قد نجحت ، وواجهت الفتاة النحيلة الضعيفة الهزيلة الجسد جمهورها لأول مرة ... لكن الناس لم يروها فى تلك الليلة نحيلة ولا نحيفة ولا هزيلة الجسد ، شاهدوا أمامهم فتاة ناضجة ذات أرداف ممتلئة وجسد ملفوف ... غير أن واحدا من الحاضرين فى تلك الليلة، لم يكن يعلم أن قوام ليلى النحيل هذا، وجسدها الهزيل ، ظل

لأسابيع طويلة الشغل الشاغل للأهل والأصدقاء ، ففى ذلك الزمان كانت مقاييس الجمال تختلف، وكان الشحم واللحم والاكتناز من علامات الجمال التى تبهر الأبصار وتملأ العيون، ووجدت الست جميلة الحل فى صدر صناعى وضعته لفتاتها الصغيرة ، وتحت ذلك الفستان الاسود الذى ارتدته ليلى فى تلك الليلة، كان هناك العديد من الجونلات التى صنعت أردافا ممتلئة ومستديرة .

الشيء الغريب حقا ، هو أن صوت ليلى ملأ المسرح ، لم تكن الميكرفونات قد عرفت طريقها إلى المسارح فى تلك الأيام، وكانت عظمة المطرب أو المطربة تتجلى كلما اتسع المسرح أو السرادق وامتلأ بمئات من الناس، فإذا ما وصل الصوت - رغم الاتساع والازدحام - إلى كل أذن كان هذا دليل النجاح الذى لا يناقش ... ولقد غنت ليلى الصغيرة فى مسرح رمسيس الصغير المحندق بلا ميكروفون ، ووصل صوتها إلى كل أذن فى المسرح الذى امتلأ حتى آخر مقعد فيه ولم يلفت هذا الأمر نظر أحد من السميعة الذين طربوا واعجبوا وصفقوا وارسلوا باقات الزهور ... لكن الذى لفت الانظار حقا، هو لون الفستان !!

كانت ليلى ترتدى فى ليلة زفافها تلك ، فستانا أسود .

وقبل أن يلفت هذا اللون أنظار الناس ويثير دهشتهم ، كان قد أثار دهشة الأب والأم والاخوة والأصدقاء والصديقات جميعا ... فما الذى يدفع فتاة فى عمر الزهور تزف إلى فنها ومجدها ومستقبلها لأول مرة ، لأن تصمم وتلح على أن يكون لون الفستان أسود!!

عبثا حاولوا اقناعها باختيار لون آخر، فلماذا لا يكون الفال حسنا وتختار اللون الأبيض ، لماذا لا يكون للفستان الأول لون آخر ، أى لون يثير البهجة عند الناس لا الحزن ، سمعت ليلى وركبت رأسها ، وكانت تقول لمن يسأل والدهشة تطل من عينيه: «ما هو أنا لما ألبس فستان أسود ، حابان أكبر من سنى!!»

واقتنعوا ، أو ارغموا على الاقتناع ، فلابد أن ليلى هى التى اشترت القماش ، ولابد أنها هى التى صنعت الفستان بنفسها!

كان السبب الذى ساقته ليلى تبريرا لتصميمها هذا واهيا، ولم يكن هو السبب الحقيقى وراء اختيارها لهذا اللون الغريب، كما أنه لم يكن من الممكن أن يفكر أحد فى مثل هذا الموضوع لأكثر من دقائق ، فموعد الحفل يقترب ، والاضطراب يسود البيت، يشمل الأب والأم وعازف العود والملحن الشاب ...

وكانت ليلى تشعر أنها فى حلم ، كانت تسير فى الشوارع فتقرأ الاعلانات التى ألصقها أبوها على الحيطان ، اعلانات تحمل اسمها كبيرا عريضا ، وتحس أحيانا بالطرب ، لكنها - أبدا - لم تتمن أن يعرف الناس ، إنها - هى هى - ليلى مراد التى يقرأون اسمها الآن فى الشوارع والطرقات .

وبدون شك : كانت الست جميلة هى أكثر الجميع قلقا على مصير ابنتها ، لذلك فهى لم تكف عن الصلاة والدعاء ليل نهار... غير أن المذهل فى الأمر ، هو حال الفحل العملاق الوسيم، ذلك الرجل ذو التاريخ والمجد القريب ، زكى مراد الذى كان اسمه مازال يتردد فى الأذهان لم يختف بعد ، هذا الرجل كان يرتجف رعبا ، وكان يتماسك ويتظاهر بالثقة أحيانا وباللامبالاة أحيانا ، لكن قلقه كان واضحا ، فبعد أيام يتحدد مصير أسرة ... هذه هى الحقيقة يعلمها الكبير فى البيت قبل الصغير ، تعلمها ليلى ويعلمها الأطفال والعجائز ، وكلما اقترب موعد الحفل ازدادت عصبية زكى مراد ، ولازمت ليلى غرفتها لا تبرحها ، لا ترى أحدا ولا تقابل أحدا ، ولا تصنع شيئا سوى الغناء بصوت خفيض ، فإذا ما ارتفع صوتها ذات مرة فى الليل أو النهار ، ساد السكون البيت، وارهفوا السمع ، وخفقت القلوب ... فماذا ... ماذا لو فشلت؟!

يشد زكى مراد قامته ويقول :

«ماتخافيش يا ليلى !»

لكنه كان يرتجف ذعراً .

«أوعى تنسى إنك بنت رجل مشهور !»

يتوسل إلى مجده بالعودة ، ويحملها مسئولية الحفاظ عليه، فكيف ؟!

« ... ... وحتى لو مانجحتيش مايهمش!»

بل يهم ، وكان هو أول العارفين بمدى أهمية النجاح !

حتى جاءت الليلة الموعودة !!

... ...

... ...

فى تلك الليلة حملوها من البيت إلى المسرح ، طارت أو سارت أو ركبت فهى لا تدرى ، كل شىء أصبح حلما تفتقد الحواس ملمسه ، حتى هذا الباب الصغير الضيق فى الحارة الجانبية خلف المسرح كان حلما ، نفذت منه تحت ذراع أبيها فتمنت لو أنها عادت إلى بطن أمها من جديد ، تلقاها الزحام والحركة والوجوه والتهانى لكن البسمات كانت تحمل معنى الاشفاق أكثر من الثقة ... الكواليس والحبال والآلات

الموسيقية وكلمات التشجيع وهى تقترب ذات لحظة من الستار وتنظر إلى الصالة فيسقط قلبها بين ضلوعها ، غيبوبة هى أو منام كالكابوس ومنذ أيام كانت تجلس إلى ماكينة الخياطة فى البيت ، ومنذ شهور كانت تغنى فى البيت فى بوق الفونوغراف وترتل فى الكنيسة مع الراهبات فماذا ستقول عنها الصديقات بنات الحسب والنسب ... خلف الستار دفعوها دفعا فسارت كالمنومة . نظرت حولها تبحث عن أبيها فلم تجده ، كان قد اختفى ... رياض السنباطى يقف وسط العازفين وقد تهدلت ملامحه وملابسه فليس الامتحان الليلة ككل امتحان وقد امتلأ المسرح بالنقاد والفنانين والصحفيين وأصحاب الأسماء الرنانة فى عصر كان فيه للأسم معنى يفوق التصور . اجلسوها فوق مقعد فواجهها الستار المغلق ومن خلف ظهرها كانت أصوات الآلات والأوتار تضبط ... ولو خيروها بين الموت وبين مواجهة الناس لاختارت الموت دون تردد ، ولقد علموها فى المدرسة أن الله صانع المعجزات ، فلماذا لا يصنع من أجلها معجزة وقد انتظرتها طوال شهور؟ .. وهل يستطيع الله أن يهدم الدنيا على من فيها فيعفيها مما هى فيه الآن؟!

بينها وبين المستقبل حائط من القماش ، تصاعدت دقات المسرح الثلاث فساد الصمت وفر جميع من كانوا فوق الخشبة

ولم يعد هناك إلا هى مع الصمت، حتى الأوتار كفت ، والأصوات كفت، وساد السكون عربيدا فتلاشت أنفاسها ، وارتجفت الستارة فارتجف قلبها ، وانفرجت فانفرج قلبها وراح ينزف بدقات شديدة العنف ، وواجهتها عشرات الرءوس ومئات العيون والأكف تصفق مجاملة ، وفاحت فى الجو رائحة الورود المرصوصة ، وتلاعبت عيناها فيما أمامها تبحث عن شىء غائب ، على اليمين صفوف المقاعد مزدحمة، وعلى اليسار صفوف المقاعد ممتلئة ، وفى الوسط ممر خال يصل إلى باب ، وأمام الباب كان يقف زكى مراد .

أمامها تماما كان يقف .

وغص حلقها بكلمة « بابا » ... لكنها لم تستطع أن تتفوه بها !

وازداد السكون عمقا عندما بدأت الفرقة تعزف ، ولسوف تغنى من أجله فقط ، هذا العملاق الوسيم الذى طبقت شهرته الآفاق، الذى كسب الألوف وبعثر الألوف وعشق النساء وعشقته النساء وعبدته أمها رغم كل شىء ... ملأت صدرها بالهواء فسرى إلى أعصابها خدر لذيذ ، ها هى ذى تواجه كل شىء بلا حواجز ، وجها لوجه هى الآن مع التجربة فهل تترك العائلة فريسة للفقر والجوع؟! ..

وتفتحت أذناها مع اللحن، والذى سرى إلى أعصابها فانتشت له فجأة ، استغرقها فاستغرقت فيه ، انداح علوا فطاوعته ، تمايل خفوتا فانداحت معه، تسلل إليها فتركت نفسها تذوب فيه، وعندما حان الوقت نهضت واقفة ، وتعالى التصفيق فى الصالة ، وخفت اللحن وكان عليها أن تغنى «آه»، وما أن انفرجت شفتاها عن «الآه» حتى سقط زكى مراد، فى آخر الممر ، أمام عينيها ، مغشيا عليه!!!

وارتجفت .!!

كل خلجة فى جسدها ارتجفت .

انحنى عليه الواقفون إلى جواره وحملوه إلى الخارج .

وعادت تغنى الآه من جديد فخرج من شفتيها أنين معذب .

غنت : « آه من العذاب والحب ! » فإذا الدمع يغرق العينين واللحن والإحساس والعمر كله ، اكتسى صوتها بثوب الحزن الدفين فجاء أداؤها شديد الحرارة ، أحبت الآه وارتاحت لها فقالتها وغنتها ونغمتها ورددتها فجن الناس جنونا بهذا الصوت الحزين ، صعدت الأغنية وتماوجت باللحن وانهمر الدمع مع الكلمات فأغرق كل شىء ، وكان السكون عميقا عميقا ... حتى إذا انتهى اللحن ، وهبط الستار ، كانت

الصالة قد إلتهبت بالتصفيق وقال المخضرمون أن تلك الليلة، شهدت مولد نجم جديد .

●●●

ما من مطرب أو مطربة فى ذلك العصر، لم يغن أغنية الشيخ أبو العلا : «أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعه» ... وقد يستطيع علماء الموسيقى أن يخبرونا بما فى هذا اللحن من صعوبة وجمال ، مما دفع «كل» الذين أرادوا أن يثبتوا وجودهم فى عالم الطرب، أن يؤدوا هذا الامتحان أمام الناس، فيصبح اللحن - أن أجيد أداؤه - مثل جواز المرور إلى عالم الشهرة والمجد والمقدرة .

ولقد قرر زكى مراد أن يدخل ابنته هذا الامتحان فى ليلتها الأولى ، فراح يدربها عليه ومعه الأصدقاء مثل داود حسنى والشيخ زكريا والقصبجى حتى اتقنته ، وما أن اطمأن إلى أن فتاته سوف تجتاز الامتحان حتى وضع اللحن فى آخر الليلة ، ليكون ختامها - كما يقولون - مسك !

ولم يكن زكى مراد يستطيع بحال من الأحوال أن يدفع ثمن أكثر من لحن واحد ، وإذا ماغنت ليلى فى ليلتها الأولى ، ألحانا قديمة فانها بذلك تضرب عصفورين بحجر واحد، فهو أولا : لن يدفع أجر لحن آخر، وهو ثانيا: سوف يثبت للناس جدارة ابنته وقدرتها على أداء الألحان الصعبة .

وهكذا غنت ليلى مراد فى وصلتها الثانية أغنية : فى البعد ياما كنت أنوح .. كان أبوها قد أفاق من غشيته ، وكان قد جاءها خلف الكواليس وضمها اليه ودمعت عيناه ودمعت عيناها غير أن قلبها اطمأن، أكثر ما طمأنها وطمأنه هو ذلك النجاح الغريب الذى كان له تأثير السحر على نفسها، ذلك أن الستار الحديدى المخيف الذى كان يفصلها عن جمهورها كان قد سقط ، وعندما فتح الستار عن الوصلة الثانية ، شعرت بأنها تغنى لأصدقاء، ولقد كانت الغالبية العظمى من السميعة ، من الأصدقاء فعلا ، أصدقاء زكى مراد من الفنانين وأصحاب الأطيان ، وكان التصفيق هذه المرة أشد حرارة ، وما أن وصلت ليلى إلى البيت الذى يقول : يانور العيون آنست ... حتى توقفت عنده ، أخذته بكل خوفها وقلقها وثقتها بنفسها وراحت تتلاعب به، وراحت تنغمه ، وتغنيه لنفسها، أخذت اللحن القديم وغمسته فى حزنها الجريح فخرج اللحن وله مذاق خاص ... وسمع الناس ليلتها نفس اللحن الذى سمعوه من قبل عشرات المرات، لكن فى هذه المرة كان ممزوجا باحساس جديد، إحساس فتاة قاصر ، كانت شديدة الحزن على نفسها .

واسدل الستار على الوصلة الثانية، وحملت التهانى والبسمات والاطمئنان فتاتنا إلى غرفتها ، راحت تبحث عن

أبيها فلم تجده، وما كادت تجلس حتى سمعت صوتا مميزا، صوتا له قدرة إصدار الأمر، وكان الصوت لسيدة تقول :

«أنا لازم أشوفها يازكى ، أنا مش مصدقة أن دى بنتك ليلى!»

وما أن دخلت السيدة « روزاليوسف » غرفة ليلى مراد ، حتى هبت الفتاة واقفة، وجدت نفسها أمام هذه السيدة التى طبقت شهرتها مصر كلها ، التى كان الرجال يخافونها ... كانت روزاليوسف مستديرة الوجه ، بيضاء البشرة ، قوية الشخصية تضع على رأسها قبعة وتمسك فى يدها بعصا .

وكان هذا فوق ما توقعه زكى مراد ، كان سعيدا كطفل ، كان يتهلل بالفرح ، وعادت الدماء تجرى فى عروقه من جديد ، وعادت ليلى إلى خشبة المسرح لتغنى الوصلة الثالثة، وتزف إلى الناس بصوتها أغنية : أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعه ... ونجحت حتى انهمر الدمع مع عينيها ، نجحت حتى حملوها إلى البيت حملا ، وامتلأت خشبة المسرح بباقات الورود ، وكان البيت قد امتلأ بالأصدقاء والصديقات والجيران . ووسط الجميع كان زكى مراد نشوان ، سعيدا، عاد إليه مجده الضائع ، والست جميلة كالنحلة لا تكف عن الحركة وتلبية

الطّلبـات ، لقـد انقـذت الفتـاة العائلة ، وبـدأ الطريق أمام الأب شديد الوضوح ، ففى تلك الليـلة ، اتفـق على أن تغنـى ليـلى فى فرح، بعد أيام قليلة!!

●●●

أما ليلى ، فلقد تركت كل شىء واندست تحت الأغطية فى الفراش ، ساد الظلام الغرفة وكانت الضحكات تجلجل فى كل أرجاء البيت ... وضعت رأسها فوق الوسادة وراحت تستجلب الذكريات . كانت تستدعى «ليلاها» هى، فتاتها ، فتاة المدرسة والراهبات وترتيل الكنيسة فدمعت عيناها ... بكت فتاتها التى ماتت، والتى من أجلها صممت على أن ترتدى ثوب الزفاف الاسود هذا، حدادا وحزنا ... ولقد ظلت ليلى مراد ترتدى الفستان الأسود فى كل حفلة من حفلاتها ، حتى وقفت أمام يوسف وهبى فى فيلم «ليلة ممطرة» ... وقفت أمام «يوسف بك» ابن الباشا، ابن الحسب والنسب،الرجل الذى اقنعها لأول مرة – وكانت قد مضت سنوات – أن الفنان من الممكن أن يكون «ابن ناس» أيضا ، وأن الفن شىء عظيم .

يومها فقط : خلعت ليلى الفستان الاسود ، واستحضرت ذاتها من قبر الذكريات فانتشت بالمرح ، ووقعت فى الحب لأول مرة.

●●●

الفصل الرابع

نجاح بلا طعم !



بعد خمس سنوات تقريبا من تلك الليلة التى غنت فيها ليلى مراد فى مسرح رمسيس لأول مرة فى حياتها ، وقع معها محمد عبد الوهاب عقدا لتلعب دور البطولة فى فيلم « يحيا الحب » ، وكان هذا العقد بمثابة اعتراف صريح من أشهر أصوات الرجال فى عالم الغناء ، اعتراف من النجم الوسيم الرخيم الصوت ، بأن ليلى مراد ، جديرة بأن تشاركه الغناء ، علنا ، وأمام الناس ، وفى فيلم سينمائى .

وقبل ذلك بعامين أو يزيد قليلا ، كان عبد الوهاب قد وفى بوعده الذى بذله عندما سمع ليلى فى حدائق القبة مع آل بيضا لأول مرة ، كان قد وفى بوعده ووقع معها عقدا بعشر أسطوانات فى مقابل ٣٠ جنيها للأسطوانة ، ورغم أن ليلى مراد وصل أجرها فى السينما إلى رقم لم تصل إليه ممثلة أو مطربة من قبلها أو من بعدها فى مصر ، فى تلك الأيام ، رغم ذلك... فإن الأجر الذى تقاضته عن أول أفلامها ، لم يتجاوز الثلاثمائة جنيه ، وكانت ليلى سعيدة ، كانت سعيدة إلى حد

الجنون ، كانت سعيدة إلى حد الشلل وعدم التصديق، لا لأنها سوف تصبح نجمة سينما ، ولا لأنها سوف تغنى من ألحان عبد الوهاب شخصيا ، ولا لأنها سوف تمثل أمام معبود النساء والفتيات فى مصر ، وأن فالنتينو عصره سوف يقع فى حبها ولو تمثيلا ، لا لشىء من هذا على الإطلاق... كانت ليلى سعيدة ، لسبب آخر شديد الغرابة ، ذلك أن دورها فى الفيلم ، كان دور بنت الباشا ، أى باشا ، حتى ولو كان باشا ممثل ، إن هذا بالذات سوف يردها إلى عالمها الخاص الخفى ، إلى مدرسة « نوتردام دى زابوتر » ، إلى الصديقات والزميلات بنات الحسب والنسب ، إلى الترتيل فى الكنيسة كل صباح ، إلى أحلام الطفولة المبتورة ، إلى سعادة تمنتها بكل ما فى القلب من أمل ، لكنها - وأسفاه - أعطتها ظهرها ذات يوم لتقيم أود عائلة بأكملها ، وهى لاتزال فى عمر الزهور !!

ليس هناك أدنى شك فى أن ليلى مراد كانت سعيدة لأنها ستمثل وتغنى أمام عبد الوهاب ، ولأنها سوف تظهر فى السينما ، ولأنها سوف تصبح أكثر شهرة ومالا واستقرارا ، كانت سعيدة حتى أنها لم تنم ليلة توقيع العقد غير مصدقة وكأن الأمر كله كان أكذوبة ، لكن سعادتها الحقيقية ، الخفية ، كانت فى « الحلم » الذى كان يأبى أن يتحقق رغم مرور السنوات ، رغم مرور خمس سنوات .

ففى تلك السنوات الخمس ، داخت ليلى مراد الدوخات السبع، طافت بمدن مصر من أسوان حتى الاسكندرية ، فى القرى والمراكز والأفراح كانت تغنى ، فى الحفلات وأعياد الميلاد كانت تغنى ، فى طنطا ودسوق والزقازيق وسوهاج وكوم أمبو والمنيا وقنا والمنصورة كانت تغنى ، فبعد أسبوع واحد من حفلتها الأولى على مسرح رمسيس ، كانت ليلى تغنى فى فرح ، وبعد أسبوعين كانت تغنى فى أحد نوادى مصر الجديدة ، وبعد ثلاثة أسابيع أحيت حفلا فى سينما صيفية فى حدائق القبة ، لم يضيع زكى مراد وقته ، كان فنانا مدربا يعرف كيف يستغل موهبة ابنته ويصقلها ، كان يعرف كيف يقدم حنجرتها للناس وفى أى ثوب ، كان يعرف خبايا السوق ومزاج السميعة ... ولذلك كان يقيم حفلات ليلى الأولى لحسابه الخاص ، لم يلجأ إلى متعهد ، بل ترك الوقت يمضى والاسم يلمع ، حتى أتاه المتعهدون من كل أنحاء مصر ، أتوا ليفرض عليهم شروطه ! ... ولكى تصبح ليلى نجمة ، قبل أن تصبح بالفعل نجمة !!!

ولقد كان زكى مراد يعلم بحس الفنان وتجربته ، أن مثل هذه الحفلات ، وإن كانت مرهقة للفتاة النحيلة الضعيفة الجسد ، إلا أنها سوف تصبح السلم الطبيعى نحو اكتمال

الموهبة ... وبالفعل، كانت هذه الحفلات معهدا لتدريب صوت ليلى البكر ، وفرصة للتعود على مواجهة الناس وخلق الوجود المسرحى أمام جمهور كان يحمل فى ذهنه صورة معينة محددة للمطرب أو المطربة فى ذلك الوقت ، وكانت ليلى بجوار هذا تأخذ دروسا فى الموسيقى ، وتتعلم اللغة العربية كتابة ، ورغم مرور الأعوام ، كانت الصبية لاتزال ذات جسد هش نحيل ، لم يبرز صدرها كما يجب ، ولم يمتلىء جسدها ويستدير ، وعندما اشتهرت ليلى بعض الشىء ، وعندما أصبح إحياؤها لإحدى الحفلات أو لفرح من الأفراح دليل يسار وانتماء إلى طبقة القادرين ، وعندما انهالت عليها العروض ، كان الذين يرونها لأول مرة ، يدهشون ، ويقولون بصوت لا يحاولون إخفاءه : « هى دى ليلى مراد ؟! » .

ورغم ما كان يحمله السؤال من سخرية مستورة ودهشة وجلبة رغم أنه كان يجرح شعور ليلى ، فإنها كانت تتحمل فى البداية ، وكانت تعلم أن الناس محقون فى دهشتهم ، فلقد تعودوا أن تكون المطربة ممتلئة الجسد ملفوفة القوام ، أما هذه الصبية الجميلة الوجه البريئة التقاطيع ، فرغم الصدر الصناعى والجونلات العديدة ، فإنها كانت تبدو مثل طفلة لا تملأ العين ، وفى كل مرة ، تسمع ليلى نفس السؤال ، فتبتلع

الألم والدموع ، ثم تتحدى كل شيء ، وتتعالى فوق كل شيء ، وتقف أمام الناس مصممة على أن تجعلهم يبتلعون شكهم وسخريتهم ، وكانت الأغاني القديمة ذات الألحان الصعبة ، والتى يحتاج أداؤها إلى مقدرة ، كانت هذه الأغانى تساعدها على خوض المعركة ، والانتصار فيها .

غير أن الغناء القديم لم يكن سلاحا واجهت به ليلى مراد الساخرين منها فقط ، بل كان أيضا سلاحا واجهت به معركة الحياة وقلة المال .

إن الأغنية - أية أغنية جديدة - تحتاج إلى جانب الصوت : نظما ولحنا ، وكلاهما - النظم واللحن - كان يحتاج إلى المال ، ولما كان زكى مراد لا يملك هذا المال ليدفعه للشاعر والملحن ، فلقد لجأ - دون تردد - إلى الأغانى القديمة ، واشترك مع صديقه داود حسنى بالذات فى تلقين ليلى أسرار هذه الألحان ، وهكذا غنت الفتاة فى بداية حياتها الفنية أصعب الألحان التى عرفها مطربو ذلك العصر ، غنت للشيخ أبو العلا ، ولعبده الحامولى ، ووفرت بذلك ثمن النظم واللحن ، وقدمت - فى الوقت نفسه - للناس فنا ألفوه وأحبوه .

لكنها اكتشفت مع الأيام شيئا غريبا .

ولقد جاء اكتشافها عفويا غير مقصود ، وإذا كانت ألحان عبد الوهاب بالذات هى مبتغاها وإحساسها ، فذلك لأنها كانت توافق مزاجها وتريح حنجرتها ، ولذلك ، فلم تغن ليلى مراد الألحان القديمة كما كانوا يلقنونها لها ، فذلك صعب للغاية ، بل انه نوع من المستحيل ، واكتشفت ليلى أن هذه الألحان كانت تنساب من حنجرتها بسهولة إذا ما أدتها بطريقة ما ، بطريقتها هى ، كانت تعيد توزيع اللحن داخل إحساسها هى به ، ذلك الإحساس المغرق فى الحزن العابد للذات المصلوبة ، تلك الذات التى أصبحت أهم شخصيات البيت على الإطلاق ، والتى كان النجاح يضيف إليها المزيد من الإحساس بنفسها ، وكلما تجمع لديها بعض المال ، لجأت إلى ملحن ليلحن لها أغنية ، بهدوء وبلا انكباب ، وما أن مضت شهور قليلة ، حتى لحن لها السنباطى وزكريا أحمد والقصبجى... و ... ونجحت ليلى ، شهرا بعد شهر كانت تنجح ، ورغم المآزق والإرهاق والتعب وصغر السن والتجربة كانت تنجح ، وذاع صيتها فى مصر ، وكانت تسافر مع أبيها فى البداية ، ثم أصبحت تسافر مع خالتها مريم التى رحلت عن دنيانا ، وبدأت ليلى مراد ، فى هذه السن المبكرة ، تواجه مجتمعا له نظرة خاصة للفنان ، وهنا ، هنا بالتحديد ، كانت تجربتها الأولى مع الحياة.

ذات يوم ، فوجئت ليلى بأحد الأمراء داخل ناموسية سريرها ، استيقظت من النوم بعد ليلة مضنية ، لتجد إنسانا مخمورا يريدها بجنون ، وكان ذلك فى كوم أمبو !!!

وذات ليلة سقطت منها إحدى الجونلات التى كانت أمها تحشو بها فستانها حتى تبدو سمينة بعض الشىء ، سقطت الجونلة وهى واقفة فوق المسرح مندمجة تغنى ، وأفاقت على ضحكات الجمهور فى الصالة !!

وذات ليلة أخرى تركت المسرح عدوا إلى الطريق - وكان ذلك فى قنا - عندما شاهدت « عقربا » يزحف فوق خشبة المسرح متجها نحوها!!

و يوم آخر سقطت مغشيا عليها عندما شاهدت دماء الذبائح وقد لطخت ثياب الناس فى رشيد ، احتفالا وابتهاجا!!

ومرة جاءها أحد أثرياء سوهاج بعد أن انتصف الليل بساعات، وراح يدق باب الفندق الذى كانت تنزل فيه ، وكان الرجل سكران ، مجنونا ، وراح يصيح : « أنا عاوز أشوفها ، لازم أشوفها ! » .. ولم يستطع أصحاب الفندق أن يواجهوا ثريا مخمورا يحمل السلاح ، ووجدت ليلى نفسها أمام رجل جن بها حبا ، رجل مخمور ضاعت الدنيا من بين يديه ، وكان عليها أن تواجه الأمر وحدها !

بعض أبطال هذه الحكايات كانوا على قيد الحياة حتى كتابة هذه السطور يعيشون بيننا حتى اليوم ، وبعضهم اختفى فى زحام الحياة ، وبعضهم تذكر ليلى مراد أسماءهم رغم مرور أكثر من ٣٥ عاما ، لكن هناك البعض الذى ترفض ليلى، مهما كانت الدوافع ، أن تذكر اسمه على الإطلاق !

غير أن حكاية الأمير التى حدثت فى كوم أمبو ، دونا عن كل الحكايات ، لا تزال عالقة بذهنها حتى اليوم ، لا لأنها حكاية ظلت تتردد فى الصعيد همسا لشهور طويلة ، ولا لأنها كانت أولى تجاربها المفزعة ، ولكن لأن بطلها كان أميرا ، العيب الوحيد فيه ، أنه لم يكن يركب حصانا أبيض !!



لاتزال حكاية هذا الأمير - الذى ترفض ليلى أن تذكر اسمه بإصرار عجيب - عالقة بذهنها ، بكل التفاصيل وبأقلها شأنا .

وعندما كانت تغنى مطربة مثل ليلى مراد فى إحدى مدن الصعيد ، كان هذا يشكل حدثا مهما بالنسبة لمجتمع هذه المدينة ، فإذا ما نجحت المطربة فى ليلتها الأولى ، حفلة كانت أو فرحا ، دفع هذا وجهاء البلد إلى الاتفاق معها على الغناء فى اليوم التالى، كان هذا يحدث بمناسبة وبلا مناسبة ، كان نوعا من الترفيه فى مجتمعات لم تكن تعرف هذا النوع من

الترفيه ، وكان يحدث أيضا كنوع من المبارزة وإظهار المقدرة والغنى ... وكانت ليلى بطبيعة الحال تقبل ، وكانت بعض رحلاتها هذه تمتد إلى أسبوع أو أكثر.

في كوم أمبو كانت ليلى تحيي فرحا لواحد من عائلة عمار، عائلة ذات أرض ومال وعلاقات ، ولاتزال ليلى مراد تذكر حتى اليوم ، وبوضوح شديد ، كل شيء عن هذا الفرح ، لاتزال تذكر وجه العروس ووجه العريس ولاتزال تذكر بالذات ، وجه عبد الفتاح بك نور .

كان عبد الفتاح نور هذا ، واحدا من الذين حضروا حفل ليلى الأول في كوم أمبو ، وكان أيضا - وهذا هو المهم - مديرا لشركة السكر التي كان يملكها أحمد عبود باشا ، وفي تلك الأيام كان المدير مديرا ، كان شخصية لها مكانة عالية في المجتمع ، يستضيف في بيته الأعيان والوزراء والأمراء ، وكانت شركة السكر تملك أراضي شاسعة ، وفي تلك الأراضي كان المدير يركب الخيل مع ضيوفه ، وكانت زيارة مصنع السكر وقتها ، أعجوبة يراها الإنسان من أعاجيب الصناعة الحديثة .

ولذلك : فعندما طلب عبد الفتاح نور من زكي مراد أن تحيي له ابنته حفلا في قصره في اليوم التالي ، رحب زكي

مراد على الفور، فلقد كان يعلم - أو علم من عبد الفتاح نور - أن فى القصر ضيوفا من الكبراء والعظماء ، وأن من بينهم سمو الأمير فلان الفلانى .

إنها فرصة ، إن نجم الفتاة يتألق ، انه يصعد سلم المجتمع ويصل إلى أذنىْ واحد من أفراد الأسرة المالكة ، لم يكن هناك ما يمنع من أن تغنى ليلى ، ولم تكن هناك عقبات سوى مكان المبيت ، وعلى الفور قال مدير شركة السكر : تناموا عندى فى السراية !

فى صباح اليوم التالى انتقلت ليلى مع أبيها والفرقة الموسيقية إلى قصر عبد الفتاح نور... دخلت القصر فداخت ، دار رأسها ، أبهاء وممرات ونجف وأثاث وسجاد وأبواب وخدم وحشم وحركة تشبه الهمس إلا إذا كان صاحبها شيئا عظيما!

أعطوها غرفة شديدة الاتساع ، شىء مهول ، حلم من أحلام طفولتها وصباها ، فى مثل هذه القصور ولدت ليلى لكى تعيش ، مثلها مثل الصاحبات القدامى فى المدرسة ، السرير وثير وثير ، الناموسية معلقة فى أعلاه ، المقاعد ومائدة وبقية الأثاث والستائر، وللغرفة باب آخر جانبى ، لا تدرى ليلى إلى أين يوصل .

كان ضيوف الحفل لا يزيدون على عشرة أشخاص ، وكانوا جميعا من الرجال ، وكان نجمهم المتألق هو « سمو الأمير » .

ومع الأيام كانت ليلى تتدرب على مايطلبه الناس ، وعلى قراءة أفكارهم ونظراتهم بالذات ، هو شيء لا يورث لكنه يكتسب ، وعندما كانت ليلى تغنى فى تلك الليلة فى قصر عبد الفتاح بك نور، قرأت نظرات الأمير بوضوح ، وانتابها الخوف، كانت عيناه تنفثان نظرات شديدة الشراهة ، كان يشرب ويعب من الخمر بلا حساب ، وكان يأكل - مع المزيد من الخمر - جسد ليلى بعينيه ، وانتشى الأمير من الغناء ، وانتشى الجميع، وطالت الحفلة حتى الثالثة صباحا .

فى الثالثة صباحا دخلت ليلى غرفتها وأغلقتها جيدا ، كانت متعبة منهكة وكان الجو شديد الحرارة ، فخلعت ملابسها ، ثم سترت جسدها العارى بقميص شفاف ، وصعدت إلى الفراش الوثير وهى تحس بالرضا والسعادة ، لقد نجحت ، وصفق لها البكوات والباشوات والأمير بحماس ، شيء واحد كان يضايقها ، لقد شرب أبوها عددا من الكئوس لا تحصى ، ولابد أنه الآن يغط فى النوم .

امتدت يدها لتسدل الناموسية ، فوقعت عيناها على باب جانبى فى الغرفة لم تنتبه إليه فى البداية ... وداخلها القلق ، فغادرت الفراش وحملت قطعة من الأثاث الثمين ، ووضعتها خلف الباب ، واطمأنت ، وعادت تسبح فى الأغطية الحريرية ، وتسدل الناموسية ، وتتمرغ في الفراش الوثير ، ويطويها النوم فتغيب عن الوجود .

ولا تدرى ليلى كم مضى من الوقت ، لا تدرى هل نامت أم لم تنم ، كل ما تدريه أنها فتحت عينيها على أنفاس مخمورة ووجه تطل من عينيه نظرات رغبة محمومة ، تقلبت فى مكانها وقد ظنت أن الأمر حلم ، لكن ذراعا الرجل امتدتا إليها فاستيقظت تماما ... كانت تجلس فى الفراش ، داخل الناموسية، لا يسترها سوى قميص شفاف ، ومعها سمو الأمير :

كان هذا هو كل ما سمعته ، ومرت ثوان خاطفة ، رقعت بعدها ليلى بالصوت .

●●●

الفصل الخامس

درس الأمير المخمور !



من الصعب أن يتكهن المرء بما كان يدور فى ذهن زكى مراد فى تلك الأيام ، كان الرجل لايزال فى عنفوان شبابه ، كان لايزال قويا جميل الصوت والصورة ، كان أنيقا معجبانيا رغم أنه كف تماما عن ممارسة الغناء ، لكنه - أبدا - لم يكف عن ممارسة هواياته العديدة ، لم يكف عن مجالس الصحاب والشراب ومطاردة الغوانى ... كانت الدنيا تجرى من حوله وهو فى عز شبابه عاجز عن مسايرتها ، أصبح الغناء غير الغناء ، والمسرح غير المسرح ، والنجوم غير النجوم ، وكانت ابنته تلمع يوما بعد يوم ، فيزداد حرصا عليها ، ويزداد إحساسه بفوات زمنه ، فكان يغرق فى الخمر ، كان يشرب ويشرب ولا يكف ، وفى مثل تلك الأفراح والحفلات التى كانت تحييها ليلى ، كان الخمر يراق أنهارا ، وكان زكى مراد لا يستطيع أن يقاوم ، وكان إذا بدأ بالكأس الأولى ، لا يكف حتى يكف كل شىء .

ولطالما أغضب هذا ليلى وأرقها ، طالما عذبها أن ترى أباها مخمورا وهى تغنى ، فهى ليست مطربة مثل الأخريات ،

أنها تشعر أنها شيء آخر ، وإذا كانت قد أصبحت فى البيت أميرة ، فهي خارج البيت أميرة ، مع صاحباتها أميرة ، وسط الفرقة الموسيقية أميرة ، ومع المعجبين ظلت ليلى تحتفظ لنفسها بهذه المكانة ، بعيدا بعيدا ، حتى يزداد الشوق ويلتهب!

فى البداية غضبت ليلى من أبيها فى صمت ، كان زكى مراد لايزال هو زكي مراد ، وكانت الفتاة تنمو ، وتكبر وتشعر بشخصيتها ، فتحول الغضب الصامت مع الأيام إلى احتجاج ، ثم عتاب ، ثم أصبح غضبا هادرا... ولكن بلا فائدة ، أبدا لم يكف زكى مراد عن الشراب .

ويوم حدث ما حدث فى كوم أمبو من « سمو الأمير » ، رغم الخوف الذى داخل ليلى ، ورغم أنها رقعت بالصوت وهى ترتجف داخل قميصها الشفاف ، ورغم ذراعى الأمير وهما تبحثان عنها فى الظلام تحت الناموسية ، ومحاولة الهرب المستميتة من رجل فقد كل صوابه ، رغم كل هذا كانت ليلى حريصة كل الحرص على ألا يوقظ صراخها أباها من غطيطه، لم تكن تدرى أين ينام فلقد تعودت أن تكون لها دائما – فى البيت وفى الحفلات والأفراح – مكانة خاصة ، وإذا كانت قد حققت فى تلك الليلة انتصارا عظيما، وغنت أمام واحد من

أفراد الأسرة المالكة ، ونجحت ، وفازت ، فهل تبدد هذا الانتصار والنجاح والفوز بفضيحة ؟!

كانت ليلى صغيرة السن... نعم... لكنها كانت « واعية » ، تعرف كيف تحافظ على مسئوليتها ، لا تجاه العائلة فقط ، ولكن تجاه مستقبلها أيضا ، كان لابد ألا يستيقظ زكى مراد بأى ثمن ، فهى تعرف كم كأسا شرب فى تلك الليلة ، وإذا حدث واستيقظ ، فما الذى يمكن أن تفعله به الخمر مع الأمير؟!

واستطاعت ليلى أخيرا أن تقفز من الفراش ، استطاعت أن تندفع إلى الغرفة الواسعة ، لا تلوى على شىء ، وراحت تتخبط فى الظلام بحثا عن الباب ، وكانت أنفاس الأمير تلاحقها ، وفى بعض اللحظات كانت رائحة الخمر تصل إليها وهو يهمس متوسلا: « ليلى... ليلى... إسمعى بس!»... هى تذكر كل شىء ، كل لحظة ، كل كلمة... كان الأمير يتوسل ، وكان يتخبط فى الظلام ، لكنها عندما وصلت إلى الباب وفتحته واندفعت إلى البهو الواسع ، كفت الأنفاس المحمومة عن ملاحقتها ، وساد الصمت !!

وقفت ليلى فى البهو وحدها تتهدج أنفاسها بالرعب وهى لا تدرى إلى أين تذهب ، من حولها أبواب عديدة ، تبدو وكأنها

عشرات الأبواب ، الضوء هنا خافت ، والمقاعد والأثاث والستائر كالأشباح فى كل مكان ، كادت تصرخ لكنها كتمت صرختها بكفيها ، ثم انتفضت بالذعر عندما سمعت صوتا يقول :

« مالك يا مدموازيل ليلى ؟! » ..

التفتت نحو مصدر الصوت ، فوجدت عبد الفتاح نور ، صاحب البيت أمامها !!

من أين جاء ... كيف سمع !...لكنها لم تفكر ، أبدا لم تفكر ، اندفعت نحوه وتشبثت به :

« أرجوك ماتسبنيش ! »

« ايه اللى حصل ؟ »

« الأمير ؟! »

« ماله الأمير ؟! »

وأشارت ليلى نحو الباب المفتوح ، نحو غرفتها ، كانت ترتجف وهى تقبض على ذراع الرجل :

« من فضلك ماتسبنيش !! »

ويسألها عبد الفتاح نور عما حدث فتتساقط الكلمات من بين شفتيها ، ويتقدم صاحب البيت نحو غرفتها ، وكانت الغرفة خالية تماما ، ليس بها أحد !!

« إنتى لازم كنتى بتحلمى ! »

وجمت ليلى ، بحثت بعينيها فى كل مكان بالغرفة فلم تجد أحدا ، لكنها لم تكن تحلم فأين ذهب الأمير إذن ؟!

« مفيش حد فى الأوضة ، يامدموازيل ليلى ... نامى أحسن !»

« مش ممكن ، مش ممكن ! »

تنبهت كل حواسها الآن ، وازداد عنادها وتشبثت أكثر بالرجل :

« أرجوك ماتسبنيش ! »

عبثا حاول الرجل أن يطيب خاطرها ، عبثا حاول أن يعيدها إلى غرفتها ، أن يطمئنها ، فلقد رفضت ليلى أن تتركه ، وأصرت على أن يبقى معها حتى الصباح .

وبالفعل ، ظل عبد الفتاح نور يجلس بجوارها حتى مطلع النهار ، ظل صاحيا رغم ما كان ينتظره فى صباح اليوم التالى من واجبات ضيافة كان لابد وأن يقوم بها ، كان عليه فى الصباح الباكر أن يصحب ضيوفه فى نزهة على ظهور الخيل فى مزارع القصب الشاسعة ، وكان عليه بعد تناول الإفطار أن يصحبهم فى جولة بمصنع السكر الذى كان يعتبر

فى ذلك الوقت أعجوبة من أعاجيب الصناعة فى مصر..
وعندما طلع النهار ، وجاء زكى مراد إلى غرفة ابنته ، لم يفهم سر إصرارها على البقاء فى الغرفة حتى يحين موعد القطار فى الثامنة مساء ، لم يفهم سر إصرارها على الاعتذار عن الخروج فى نزهة الخيل وزيارة المصنع، لم يفهم شيئا لكنه رضخ لمشيئة ابنته وعنادها ، وظل مصلوبا بجوارها حتى حل المساء ، وركب القطار معها إلى القاهرة .



فى تلك السن المبكرة ، لم تكن ليلى تعرف كيف تعامل الرجال، ولقد كان درسها الأول مع أمير مخمور ، أمير ربما كان شبحا أو حلما أو كابوسا ، لكنه كان درسا علمها كيف تعامل من هو أعتى من الأمير ، تعلمت ليلى مراد فى تلك الليلة، ومن هذا الدرس ، كيف تعامل الملك نفسه !!

... ...

... ...

وتمر الأيام ...

تمر مرورا ثقيلا قاسيا لا يرحم ، تمر سنوات لا تعرف فيها ليلى طعم الراحة ، سنوات طافت بها بكل بقاع مصر ،

غنت فى الأفراح والحفلات ، واشتهرت بين الناس ، واشتد الإقبال عليها ، وكسبت مالا كثيرا ... طافت ليلى خلال خمس سنوات بكل مدن الصعيد ومراكزه وعشرات من قراه ، وزارت الوجه البحرى مدينة مدينة ، وكان طبيعيا، أن يرتفع أجرهاويتضاعف، وأصبح القادرون فقط هم الذين يطلبون ليلى مراد ... ورغم كل ذلك كان الحلم بعيد المنال ، لم يتحقق ، ولم يكن من الممكن أن يتحقق هذا الحلم وهى تطوف كالنحلة من فرح إلى فرح ومن مدينة إلى مدينة... فمهما كان الدخل كبيرا، ومهما تضاعف الدخل، ففى البيت جيش من الاخوة والاخوات والخالات ... كانت تعولهم جميعا!!

ثمة طريق واحد كان كفيلا بأن يحقق لها هذا الحلم ، طريق لو خطت فيه ليلى خطوة واحدة ، لانفتحت لها أبواب الشهرة والمجد والمال والرزق على مصاريعها ، وكان هذا الطريق هو : السينما .

كانت السينما حلما دون عشرات العقبات ، واذا كانت ليلى قد كبرت مع الأعوام وامتلأ جسدها واستدار واستغنت عن الصدر الصناعى بعد أن برز صدرها ، وعن الجونلات العديدة بعد أن استدار ردفاها وأصبحت فتاة ناضجة...فإن الوصول إلى عالم السينما كان شيئا آخر ، شيئا لابد من العمل له على

مـهل ، وفى تأن... كان هدفا لابد أن يتحقق من فوق ، من القمة ، من حيث يصبح خطوة أخرى نحو المجد ، من حيث تصبح الشهرة وساما واعترافا ومكانة اجتماعية فى نفس الوقت .

فى ذلك الوقت كانت ليلى قد غنت لأكبر ملحنى عصرها وأكثرهم شهرة ، كانت قد غنت لزكريا أحمد، والقصبجى، والسنباطى... وكانت قد غنت ألحان سيد درويش ، ودربت صوتها علي ألحان عبده الحامولى والادوار الصعبة والمواويل ... لكنها لم تكن قد غنت بعد لعبد الوهاب .

ومنذ عرض فيلم «الوردة البيضاء» – أول أفلام محمد عبد الوهاب – فى ديسمبر عام ١٩٣٣ ، أصبحت للفيلم الغنائى فى مصر سوق شديدة الرواج... لم يكن معنى هذا أن الفيلم المصرى كان يفتقر قبل عبد الوهاب إلى الأغنية ، بل معناه أن «الوردة البيضاء» كان أول فيلم غنائي مصرى كما يؤكد الكثيرون من نقاد السينما... كان «الوردة البيضاء» قنبلة اهتز لها الوسط الفنى اهتزازا ، وكان عبد الوهاب قد بلغ ذروة الشهرة والمجد... ورغم أنه كان تعاقد مع ليلى منذ سنوات على عشر أسطوانات ، فإن العقد لم ينفذ حتى بعد الانتهاء من تصوير فيلمه الثانى «دموع الحب» الذى تقاسمت البطولة

معه مطربة جديدة اسمها «رجاء عبده»... ولقد كان الامل يراود ليلى كما كان يراود زكى مراد ، وكان كل منهما يعمل للهدف بأسلوبه ، كانت ليلي تغنى قدر طاقتها وتكتسب جمهورا تتسع قاعدته تتسع يوما بعد يوم ، وكان زكى يداوم - من ناحيته - على الاتصال بالاستاذ ويزوره بين الحين والحين فى مكتبه بالموسكى ، ويخلق الفرصة لكى يسمع الاستاذ أخبار ليلى ، وأن يسمعها أيضا كلما سنحت الفرصة.

فى تلك الأيام كان فيلم «دموع الحب» يعرض فى سينما رويال، وكانت قصة الفيلم مأخوذة عن قصة «ماجدولين» أو «تحت ظلال الزيزفون» ، وكان عبد الوهاب ، مع مخرجه المفضل محمد كريم ، يبحثان عن بطلة لفيلمه الثالث الذى اختاروا له اسم «يحيا الحب».

... ...

... ...

لعبت فيلم عبد الوهاب الأول وجه جديد هى «سميرة خلوصى» وكانت بطلة فيلمه الثانى مطربة جديدة هى : رجاء عبده .. وكان زكى مراد قد استطاع أن يلفت نظر الاستاذ

إلى ليلى، وبطبيعة الحال كان عبد الوهاب يتتبع أخبار المطربة الجديدة، كما كان قد سمع - بالتأكيد- وايقن - بأذن الخبير - أن الصوت الموهوب قد تدرب بما فيه الكفاية ، فقرر أن يسند دور البطولة إلى ليلى فى فيلمه الثالث .

كان الأمر مفاجأة تماما ، ومع النشوة تلقى زكى مراد النبأ فى مكتب شركة بيضافون . فى الموسكى ، وهبط إلى الشارع لا تكاد الدنيا تسعة ، كان يعرف وجهته ، كان يعرف أين يجد ليلى الآن ، ليزف إليها البشرى .



فى تلك اللحظات بالذات كانت ليلى تبكي فى الظلام ، كانت تجلس وسط عدد من الصديقات فى سينما رويال وهن يشاهدن فيلم «دموع الحب» ، وكان جنون الفتيات فى تلك الأيام بعبد الوهاب قد بلغ الذروة ، كل فتيات مصر كن يعشقن عبد الوهاب ، وكانت ليلى واحدة من فتيات مصر اللاتى هوين فى هذا العشق وغرقن فيه ، فقط.... كانت هى تتميز عن باقى الفتيات بالأمل... الأمل فى أن تقف يوما أمام عبد الوهاب فى فيلم سينمائى ، تغنى أمامه ، ويغنى لها ، وتقول له : أحبك ويقول لها : أحبك .و في الظلام سمعت ليلى

حفيف خطوات ثم احست بانفاس أبيها خلف أذنها تهمس بكلمات ، كلمات نزلت عليها كالصاعقة ...ارتجفت ليلى ، وجفت دموعها فى الحال . والتفتت إلى أبيها والفرحة تنفضها نفضا فوق مقعدها ، وسألت غير مصدقة : «صحيح يا بابا ؟!»

ورد الأب بفرحته الطاغية : «وحانمضى العقد بكرة !»

وكان هذا أكبر من احتمال الفتاة ، فلم تستطع مشاهدة الفيلم، ولم تستطع تتبع أحداثه ، فغادرت السينما إلى الهواء ، إلى النور... كانت وكأنها تحلم ، غير أن الحلم بدا فى ضوء النهار حقيقة لا تقبل الجدل أو الشك ، لقد وافق عبد الوهاب على أن تلعب ليلى أمامه دورالبطولة .

وباتت ليلي أسعد ليالى عمرها على الإطلاق ، لكنها لم تكن تعلم ما يخبئه لها الغد ، لم تكن تعرف أحدا باسم محمد كريم ، ولم تكن تعرف من هو المخرج ، ولم تكن تدرى أن المخرج محمد كريم سوف يرفض بإصرار أن تلعب ليلى دور البطولة .

●●●

الفصل السادس

وخرجت على موعد مع عبد الوهاب ... لتحفظ الأغانى



ابتسمت الدنيا مرة واحدة فى تلك اللحظة التى همس فيها زكى مـراد فى سـينمـا رويال فـى أذن ابنتـه ، وضـرب الحظ ضربته التى انتظرتها العائلة لشهور بعد شهور، وسنوات من بعد سنوات.... لم تستطع ليلى أن تشاهد بقية فيلم «دموع الحب» المأخوذ عن قصة ماجدولين، مسحت دموع التأثر من أحداث الفيلم، وتركت العنان لدموع الفرح فانطلقت الى ضوء النهار فى الشارع لا تكاد تصدق أن الخبر حقيقى ... الشوارع والناس والسيارات وضوء الشمس وابتسامة الاب وكم كانت الدنيا حلوة فى ذلك اليوم، شىء هو كالحلم تماما، ولايكاد العقل يصدق أن ليلى سوف تمثل وتغنى أمام عبدالوهاب شخصيا، ذلك الشاب الأسطورة، معبود فتيات مصر وصاحب النصيب الأوفى من تنهدات العذارى .... فهل هناك بعد هذا كله شىء؟!

فى تلك الليلة لم ينم أحد من أهل البيت، شملت السعادة الأم والأخوة والأخوات وأكثر السكارى بالنشوة كان زكى

مراد نفسه، كانوا جميعا سعداء لأن الحظ دق باب البيت، لأن ليلى ستمثل وتغنى فى السينما، لأنهم سوف يودعون أيام الفقر إلى غير رجعة .... أما سعادة ليلى مراد نفسها فكانت من أجل شىء آخر تماما.

والذين عرفوا ليلى مراد، والذين يعرفونها عن قرب .... هؤلاء فقط هم الذين يستطيعون تصور السبب الحقيقى الذى من أجله كانت هذه الطفلة تنتفض فرحا فى غرفتها المظلمة والكل نيام، لقد تعودت ليلى مراد أن تكتم مشاعرها حتى عن نفسها، تعودت على ذلك ودربت نفسها عليه حتى أصبح هذا جزءا من طبيعتها الى اليوم... واذا كانت سميرة خلوصى بطلة فيلم «الوردة البيضاء» - أول أفلام محمد عبدالوهاب - قد لعبت فى الفيلم دور بنت باشا، واذا كانت رجاء عبده بطلة فيلمه الثانى «دموع الحب» قد لعبت هى الأخرى بنت باشا.... فهل يكتب لليلى أن تلعب فى فيلم «يحيا الحب» دور «بنت باشا» أيضا؟!

كان هذا هو السؤال الذى يدور فى رأس ليلى، وكان هذا وحده هو الأمل الذى يراودها، وظل يراودها حتى طلع النهار، واجتمع البيت كله يشرف على هيئتها، وخرجت إلى الشارع، وركبت الى الموسكى!

فى الموسكى، فى مكتب شركة أفلام بيضا، كان عبدالوهاب هناك .... يدق القلب بعنف بعنف، وتهرب الدماء من وجنتيها، وفى أعمق أعماقها سؤال: هل يقدر لهذا الشاب أن يحبها يوما كما تحبه؟!

جلست ليلى أمام عبدالوهاب وأمام آل بيضا صامتة، لم تكن آتية لتغنى، بل جاءت مع ابيها من أجل شىء آخر، شىء عرفته فى نفس تلك اللحظة، لقد جاءوا بها لكى يراها المخرج.

كان المخرج شابا ، طويل الشعر، عصبى المزاج، صارم النظرات، راح يتفحصها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها، كانت عيناه ناريتين تخلعان عنها كل ماتريد أن تستره .... كان محمدكريم - منذ اللقاء الأول - غير راض، فبعد لحظات هز رأسه نفيا وقال كلمة واحدة: «لا».

هكذا حكم عليها محمد كريم بالإعدام فى لحظة، وهكذا سقط قلب ليلى مراد بين ضلوعها، وهكذا ازداد صمت محمد عبدالوهاب دون أن تختفى ابتسامته الساحرة.... كان محمد كريم يراها صغيرة، ضئيلة، غير مقنعة .... وبدأت معركة حامية الوطيس كانت كل أسلحة عبدالوهاب فيها كلمة أو كلمتين كل خمس دقائق.... وكانت كلمات محمد كريم مثل

قنابل تنفجر.... إن ليلى لاتصلح للدور، هكذا يراها هو كمخرج، وإذا كان عبدالوهاب مصمما - بصفته شريكا فى الفيلم وبصفته عبدالوهاب ألا - على أن تغنى ليلى معه، فليسند إليها أى دور آخر تؤدى فيه أغنية أو أغنيتين، وليبدأوا فى البحث عن بطلة أخرى.

كان كريم كلما صمت، احست ليلى أن قرارا بإعدامها قد صدر، غير أن عبدالوهاب - وياللعجب - لم يتراجع، وظل على موقفه هادئا، يقول كلمة أو كلمتين ويترك المجال لمحمد كريم لكى يقول مايريد.... وغرقت ليلى لأذنيها فى المخاوف والأحلام، حتى أفاقت على عبدالوهاب وهو يبتسم لها قائلا:

«مبروك يامدموازيل ليلى، وان شاء الله حاننجح نجاح عظيم!».

وخرجت ليلى على موعد مع عبدالوهاب، لكى تحفظ أغانى الفيلم الجديد!!



ذات يوم - بعد أكثر من عشر سنوات من هذا اليوم المشهود- سألت ليلى مراد صديقها محمد عبدالوهاب سؤالا، قالت: «استاذ عبدالوهاب....إلاّ ليه أنا دايما باصدقك وأنت بتغنى؟!»

ورد عليها عبدالوهاب باسما:

«أنا أصلى عمرى ماغنيت إلاّ وأنا باحب ياليلى!».

وليلى مراد – حتى رحل عبد الوهاب من عالمنا – لا تنادى عبدالوهاب باسمه مجردا، ورغم الصداقة والعشرة وأكثر من خمسين عاما، فلا تزال تحمل له هذا الاحساس العطر بالصدق والحب والاحترام، ولابد أن تسبق اسمه بلقب «استاذ» .... ولقد كانت ليلى تصدق عبدالوهاب كلما غنى، وكانت تصدقه وهو يمثل، وعندما جلست إليه لتحفظ أول لحن لها معه كانت غارقة لشوشتها فى حبه، وكان هو غارقا لشوشته فى المجد الذى احاطه من كل جانب، فى ألوف الفتيات اللاتى كن يقعن فى حبه، فى افلامه التى تكتسح السوق اكتساحا، فى أغنياته التى يرددها الملايين، كان عبدالوهاب لاهيا عن ليلى، لكنه كان مدركا تماما لكل ما يعتمل فى نفسها، فتجاهله!

مع التدريبات الشاقة التى بدأت مع عبدالوهاب، بدأت مرحلة الاستعداد للفيلم، وتفصيل الفساتين، والتدريبات على الحركة، والإلقاء ... و ... وكانت أول أغنية تحفظها ليلى من عبدالوهاب هى أغنية «ياما ارق النسيم لما يداعب خيالى!»

ورغم عصبية محمد كريم المتزايدة، فإن كل شيء يهون إذا ما جلست إلى عبدالوهاب... كان المفروض أن تصور الأغنية على البلاج في الاسكندرية... وكانت البطلة - ليلى مراد - في حالة نفسية عالية، كانت سعيدة ومرحة، وانتهى عبدالوهاب من اللحن، وحفظته ليلى، ودخلت استديو مصر لأول مرة لتسجله.

ووقفت ليلى أمام الميكروفون لأول مرة، وبدأت تغني.

كانت الأحاسيس الجديدة تنتابها في كل لحظة، فلقد كان كل شيء يتغير بسرعة، وإذا كان الأجر الذي تقاضته ليلى مراد عن بطولة فيلمها الاول لا يزيد على الثلاثمائة جنيه، فإن طموحها كان أكبر بكثير من هذا، كانت قد بدأت تصدق أباها، وتقتنع أنها قد خلقت للغناء، لم لا وهي تقف أمام الميكروفون وتعيد الأغنية ثلاث مرات حقا، لكنها تؤديها، ويصفق لها عبدالوهاب شخصيا، ويقول لها - لأول مرة - «برافو ياليلى» دون أن يسبق اسمها بلقب مدموازيل؟!

ترى... هل بدأ يحبها كما تحبه؟!

سجلت ليلى لحن «ياما ارق النسيم» وعادت إلى البيت تحملها الأحلام والسعادة، غير أنها ما كادت تدخل البيت حتى دق جرس التليفون، وكان المتحدث هو عبدالوهاب نفسه :

«أنا متأسف يامدموازيل ليلى، حانعيد اللحن بكره تانى!».

وهوت ليلى من قمة السحاب إلى أعماق الأرض... فما الذى حدث، ولماذا، وكيف... وهاهو ذا يقول لها مرة أخرى يامدموازيل، وضعت سماعة التليفون وانهمرت دموعها، انهمرت بلا توقف، وتجمع حولها الجميع، ولابد من أنها فاشلة، ولابد من أن عبدالوهاب جاملها فى البداية، ولابد من أنها لم تعجبه.... و.... وفى اليوم التالى عادت إلى الاستوديو ووقفت أمام الميكروفون، وأعادت اللحن خمس عشرة مرة حتى قال عبدالوهاب : «براڤو ياالليل».

وعادت ليلى إلى البيت ليدق جرس التليفون مرة أخرى، وليأتيها صوت عبدالوهاب يقول: «متأسف، لازم نعيد بكره تانى!! » ولترتمى باكية، لم تعد تستطيع احتمال الفشل بعد أن تعودت النجاح.... غير أنها استطاعت أن تتمالك نفسها، وأن تصمم على خوض المعركة، وأن تنتصر.

ذلك أنها فى اليوم التالى، وبينما كانت تقف أمام الميكروفون، دخل محمد كريم الى قاعة التسجيل بعصبيته يشرح لها الموقف: «شوفى يا شاطره......».

عندما تحدث محمد كريم اطمأن قلب ليلى مراد، إذن فالمعترض لم يكن عبدالوهاب، كان المعترض محمد كريم

نفسـه، انه يرى أن صوتهـا الحزين لا يتـلاءم مـع الموقف الذى تغنى فـيه .... خاصة فى المقطع الذى يقول : «ولما جـه الشط الهادى ريح جنبه.... ووشوش الرمل النادى وشكا غلبه».

هذه كلمـات مـرحـة مـتـفـائلة، فلمـاذا تؤديهـا هى بحـزن شديد؟!

قـالت ليلى حاضـر وخلت الى نفسـها، لقد اكـتشـفت أن الذنب ليس ذنبها، إن اللحن الذى وضـعـه عبدالوهـاب حزين، وهى تؤدى اللحن كما حفظه لها عبدالوهاب، وإذا كان لابد من التغيير، فليغير عبدالوهاب لحنه إذن؟!

فى لحظة ايقنت ليلى كل شىء،

فى لحظة ايقنت أن مـحـمـد كـريم يخـشى أن يخـبـر عبدالوهاب بالحقيقة، وأن عبدالوهاب لم ينتبه إليها، فقررت أن تواجهه.

كـانت تعلم علم اليقـين أنهـا مـقدمـة على عـمل خطير قـد يكلفها مستقبلها كله، لكنها أيضا كانت تعلم أن الذنب ليس ذنبها...

وما أن دخل عبدالوهاب إلى صالة التسجيل، حتى صاحت ليلى :

«استاذ عبدالوهاب، الغلطة مش غلطتى أنا.... باقول اللحن زى ما أنت عامله، وأنت عامله حزين، وده مش عاجب الاستاذ كريم».

فى هدوء شديد قال عبد الوهاب: «كده؟!»

وردت ليلى:

«فعلا الاستاذ كريم معاه حق، أنا لما باقول المقطع باحس بحزن!»

وصمت عبدالوهاب قليلا، واطرق لثوان ودندن بصوت خافت، ثم رفع رأسه وقال:

«نأجل البروفة لبكره»!

●●●

كان هذا هو الدرس الأول الذى تعلمته ليلى مراد، ففى تلك الليلة انكب عبدالوهاب على اللحن فغير فيه وبدل، وجاء المقطع الحزين مرحا راقصا، وغنته ليلى، ورضى عنه المخرج، ولم يتعال الاستاذ والنجم المكتسح... بل تقبل النقد فى رحابة وعندما اقتنع، أعاد النظر فيه.



الفصل السابع

أنا بحبك يا أستاذ !!



الآن أصبحت ليلى مراد نجمة !

سجلت كل أغاني الفيلم، ودخلت الاستوديو من اوسع ابوابه!...ووقفت تحت الأضواء، وتحركت أمام الكاميرا، ومثلت، ضحكت، وبكت، ووضعت الماكياج وبدأت الصفحات الفنية تتحدث عن بطلة فيلم عبدالوهاب الجديد، وكان عبدالوهاب كعادته استاذا في تقديم فنه للناس وبدأ الوسط الفني ينتظر هذا المولود الجديد عندما يقف بجوار القمة، تحققت كل الاحلام فجأة.... حتى أحلام المراهقة والصبا تحققت، فلقد كانت ليلى تلعب دور بنت باشا، وفي الفيلم أحبت عبدالوهاب... وفي الفيلم أحبها، غازلته ، غازلها، سمعت كلمات الاطراء فارتجف قلبها بالأمل لكنها كانت تستميت في الوصول إلى الهدف ، تستميت إلى حد الانقطاع الكامل - طوال شهور تصوير الفيلم - عن إحياء الحفلات رغم ما كان يسببه هذا من ضيق مادي، لكن هدفها أبدا لم يكن ابن باكر، كان الهدف دائما ابن عام أو عامين أو عشرين عاما قادمة!

عندما سجلت أغاني الفيلم على اسطوانات نجحت الاسطوانات نجاحا هائلا، ووقعها عبدالوهاب عقدا آخر بألف

جنيه للاسطوانة، وكان العقد الاول بثلاثين جنيها فقط....
وحاول عبدالوهاب أن يوقع معها عقودا سينمائية جديدة، لكن
محمد كريم رفض واصر هذه المرة على رفضه.... فرضخ عبد
الوهاب.

ترى ما الذى كان يخبئه المستقبل؟!

كان كل شيء مخططا ومرسوما وواضحا كل الوضوح....
أن الامل الآن معقود على نجاح الفيلم، واذا كان محمد كريم
قد رفض ورضخ عبدالوهاب لرفضه، فلابدأن يطلبها مخرج
آخر، لابد أن تلعب فيلما آخر.

فهل يحدث هذا؟... ومتى يحدث إن حدث؟!

إن ما نستطيع ان نؤكده اليوم أن ليلى كانت تفكر فى هذه
الأمور، وأن المستقبل كان يشغل بالها وحيزا من تفكيرها،
لكنها كانت ليلى فى البداية والنهاية، كانت تعد نفسها لأن
تلعب دور ليلى بالنسبة لشباب مصر كما لعب عبدالوهاب دور
قيس بالنسبة لفتياتها... فلعبت الدور دون تردد، كانت تمرح
وتلعب وتضحك وتعيش دنياها كما يجب أن تعيشها بنت باشا
فى ربيع العمر.... كانت تفكر لكنها لم تكن تدبر.... كان زكى
مراد قد وضع الآن كل ثقله وخبرته من أجل هذا الهدف....
فتركت له ليلى كل شيء وتفرغت للحب!!

نعم.... وقعت ليلى فى حب محمد عبدالوهاب، وغرقت فى الحب لشوشتها.

واذا كانت البداية خيالا صرفا، فلقد تحقق الخيال بحذافيره الآن.... ومنذ أن دخلت ليلى مراد الاستوديو لأول مرة أصبحت لها علاقة بعبدالوهاب، علاقة زمالة، علاقة أخوة، علاقة رؤية، أى علاقة والسلام.

إنها تراه كل يوم... نفس الشاب الوسيم الرقيق الأنيق.... أبدا لم تر عبدالوهاب مبهدلا مثل باقى الفنانين أو منكوش الشعر....

وبدا لها فى تلك الأيام وكأنه بالفعل يلعب أمامها دور قيس... ولم تواجه ليلى نفسها بالأمر فى البداية، لكنها وقفت ذات يوم أمام المرآة تسأل :

- «ماذا بعد ؟!»

كان هذا يوم تخلف عبدالوهاب عن الحضور إلى الاستوديو، لم يكن لديه «تصوير» فى ذلك اليوم، فلم يحضر، وغابت ليلى عن الدنيا، انقبضت، ضاقت بها الدنيا، باخ الاستوديو وباخت الاضواء ولم يعد لشىء طعم.... بدت لها الحكاية جدا وليست هزارا، وعندما جاء عبدالوهاب فى اليوم التالى قررت أن تواجهه، أن تقول له : إنها تحبه... قررت أن تحسم الأمر، ولو بينها وبين نفسها!؟ لكنها فى هذا اليوم لم

تستطع أن تنفرد به... ظلت تتحين الفرصة طوال النهار، لكنها لم تستطع، ولم تستطع لايام، لكنها اقتنصته ذات دقائق خمس، في غرفة الماكياج!

وقعت المصادفة أو صنعت.... ليس هذا هو المهم، المهم أن المواجهة حدثت.... كان عبدالوهاب في غرفة الماكياج فدخلت وجلست على المقعد المجاور له وراحت تدردش في انتظار دورها لوضع الماكياج... وخرج الماكيير من الغرفة لدقائق... واصبحا وحدهما، فالتفتت نحوه، وضاع الكلام، تبدد، تناثر هباء في الهواء... والتفت اليها عبدالوهاب مبتسما، منتظرا أن تتحدث، فسألته:

«أنت حاتحفظني اللحن الجديد إمتى؟».

سألها بدوره :

«لحن أيه؟!».

«الـ ...... اللحن الجديد!».

«ما حنا سجلنا كل أغاني الفيلم ياليلى!».

أوقعها عبدالوهاب في المحظور فواجهت نفسها مرة أخرى، فهل تخبره؟

وانقذتها عودة الماكيير، فتشاغلت بالحديث معه .... وابتسم عبدالوهاب!

الحقيقة الثابتة أن عبدالوهاب كان فاهما كل شيء، لكنه

كان مصرا على ألا يفهمه!!

وعندما كانت ترغى مع الماكيير هربا من حديثها معه، فاجأها عبدالوهاب بقوله:

«انتى بترغى كتير ليه يا ليلى!»

واغتاظت ليلى، انفرست منه، طقت، كرهته.... لكنها ظلت تحبه!

ولقد أحبت ليلى مراد فى حياتها كثيرا.... أحبت حبا ملتهبا وعاصفا، أحبت فى قصص يعرفها الناس، وقصص لايعرفها أحد سواها، وصديقة لها منذ عهد الطفولة.... لكنها أبدا لم تحب رجلا مثلما أحبت عبدالوهاب....

....

....

كان عبدالوهاب هو حبها الاول، هو عطر الشباب الدافىء يهب فى الربيع فيوقظ فى الانسان أحلى ما فيه.... ورغم كل ما عانته ليلى من عبدالوهاب فى الايام الاولى لتصوير الفيلم، فإن حبها له ظل متأججا، وعندما انتقلوا جميعا إلى الأسكندرية لتصوير بعض المناظر الخارجية للفيلم، كانت ليلى لاتزال تحب عبدالوهاب بنفس العنف، وعندما تشاهد الفتيات وهن يلتففن من حوله فى بهو فندق الوندسور، كانت تلهب نار

الغيرة قلبها... اما هو فكان لاهيا عنها، يبتسم ويتحدث ويستمع ويتمتع بشبابه بقدرة النجم الواثق بنفسه المعجب بها فى نفس الوقت... وفى بهو الفندق تجددت الصدفة... صنعت أو كانت صدفة بالفعل، فلقد تجددت والسلام، وأصبحا وحدهما.

«اسمع يا استاذ... انا عاوزه اقول لك على حاجة؟»

فوجىء عبدالوهاب بالحديث فالتفت إليها فى بطء . كان يرتدى البدلة والطربوش، كان أنيقا وجميلا.... التفت نحوها وابتسم، وانفجر غيظها منه كالقنبلة:

«أنا باحبك!».

ظل عبدالوهاب على هدوئه وابتسامته، ظل صامتا كأنه ينتظر بقية الحديث، ولم يكن هناك سوى:

«انا باحبك، باحبك قوى قوى!».

الغريب أنه لم ينطق، لم يفه بكلمة، ولم تغرب ابتسامته، ولا اعترى هدوءه ، أقل تغيير.

«أنا مش قادرة أخبى اخلاص!»

هنا فقط تحرك عبدالوهاب، مع قمة العصبية عند الفتاة رفع ساقا ووضعها فوق الساق الأخرى، وظل يضرب ركبته بيده اليمنى برقة، وراح يربت على ساقه... ثم، ثم ضحك!!

و...... وكــان هذا هو درس الحب الأول فى حــيــاة ليلى مراد.

كـان درسـا قـاسـيـا شـديد العنف عظيم الكبرياء، دارت الدنيا بها فـتشبثت بالمقعد، وقد غرقت فى بحر من الخجل، صـعـدت الدمـوع إلى عينيـهـا وارتجفت أصـابعـهـا .... لكن عبدالوهاب كان يضـحك ويضحك، بصوت عال، وفى بهو فندق الوندسور الشـهير وعلى مسـمع من الجميع كـان يضـحك.... وارتجف صوتها وهى تكاد تتوسل:

«معناها إيه الضحكة دى.... أنا بحبك!».

بالحرف هذا ما قالته ليلى، فاختفت ضحكة عبدالوهاب، وسدد إليها عينيه فى غضب، وجاء صوته صارما وهو يقول:

«أنا افهم ان دى قلة أدب، ازاى تتجرئى وتقولى لى كده؟».

سدد إليها الطعنة بيد خبير فأصابت منها مقتلا، وجرت دموعها بلا انقطاع... وبعد ثلاثين سنة بالتمام والكمال، سمع عبدالوهاب هذه الحكاية فتذكرها، وضحك وقال لليلى مراد:

«أنا قلت لك: بلاش سـفـالة يابنت انتى... لحسن أقـول لبابا!».

وايا كان الأمر، فلقد تهاوت كلمات ليلى وهى تقول: كأنها تلفظ النفس الاخير:

«إنت مش بتحبنى؟!».

أعظم ما كان فى عبدالوهاب، وأعظم ما فيه حتى رحل عن دنيانا بالنسبة لليلى مراد:

إنه كان يتحدث بكلمات مهذبة، بلهجة ارستقراطية، بأسلوب أولاد الناس... كان فارسا يبارز بمنديل من حرير.

نهضت ليلى وهى تترنح بالفعل كانت تعلم أن عليها أن تصور مناظر أغنية «ياما ارق النسيم» عصر ذلك اليوم، صعدت إلى غرفتها بالفندق وقلبها ينزف، دخلت الغرفة واغلقت الباب، وانخرطت فى البكاء.



الفصل الثامن

ليلى تخلع الفستان الأسود !



كانت ليلي مراد تحب عبد الوهاب حتى وفاته ، مرت السنوات والأحداث وتزوج عبد الوهاب وطلق وأصبح أبا ... وتزوجت ليلى مراد وأصبحت أما ... أصبح هو محمد عبد الوهاب وأصبحت هى ليلى مراد ، أحب كما أحبت هى ، تقدمت بهما السن وأصبحا يتذكران تلك الأيام ويضحكان وكانهما يشاهدان طفلين يلعبان فى الرمال ... لكنها تحبه ، لاتزال تحبه ، لم يبارحها عطر سنوات الشباب الاولى رغم مرور العمر !

كيف ، ولماذا ... وما الذى يعنيه هذا الكلام !!

الجواب : عند عبد الوهاب نفسه ، فى شخصيته ، فى تاثيره على هذا الجيل من الفنانين ، سيطرته المذهلة على الذوق الموسيقى فى مصر ، وعلى من يريدهم أصدقاء له !! .

وفى ذلك اليوم المشهود فى بهو فندق الوندسور . كان على ليلى مراد أن تستعد - رغم دموعها - بعد ساعات لتقف أمام الكاميرا ، كان عليها أن تصور مشاهد أغنية «ياما أرق

النسيم» على شاطيء البحر ... وعندما ازف الموعد مسحت ليلى دموعها ، وارتدت ملابسها ، ووضعت الماكياج واستعدت لأن تبتسم وتغني ... وقبل أن تدور الكاميرا اقترب منها محمد كريم ثم سألها وهو يحملق في وجهها :

«انتي عينيكي حمرا ليه ؟!»

ولم ترد ليلى ، كانت تبدو محطمة تماما ... وظلت تعانى لأسابيع طويلة ، ظلت تبكي وتسهد حتى انتهى تصوير الفيلم ، وعادت إلى القاهرة ... ووجدت نفسها مرة أخرى أمام الحياة وجها لوجه ، فعادت تحمل المسئولية ، وتقيم الحفلات ، وتذرع مصر من أقصاها إلى أقصاها ، ولم تعد ترى عبد الوهاب كل يوم ، واجتذبتها الدنيا ، فغابت عن الوعى !!



ومضت الشهور ، شهرا بعد شهر ، وعرض فيلم يحيا الحب ، ونجح ، وسجلت ليلى أغنيات الفيلم على اسطوانات نفدت كلها فى أسابيع قليلة ، وأصبح صوتها يلعلع من الراديو كل يوم ، ولمع نجمها ، وارتفع أجرها ... وذات يوم دق بابها مخرج سينمائي اسمه توجو مزراحى .

لم يكن المهم فى الموضوع أن توجو مزراحى كان مخرجا سينمائيا مرموقا ، لكن الأهم أن اسمه فى تلك الايام ، ارتبط

بقمة فنية تفردت هى الأخرى – مثلها مثل عبد الوهاب – في عالمها ومجالها ، كان اسم توجو مزراحى قد ارتبط بيوسف وهبى .

كانت المفاجأة أكبر من أن تتحملها ليلى ، ها هو ذا وجه جديد يبدأ من القمة ويستمر عليها ، لكنها كانت ترتعد حقا ... ذلك إنها عندما وقعت العقد مع عبد الوهاب وآل بيضا لتلعب دور البطولة فى فيلم يحيا الحب ، كانت تعلم أن العقد قد وقع معها لانها مطربة أولا ، كان الغناء هو الهدف الأساسى من المشروع كله ... إن عبد الوهاب «مطرب» والافلام التى ينتجها ويظهر فيها ، أفلام غنائية فى المقام الأول ... ولكن : كيف يكون الأمر أمام «غول» التمثيل فى مصر ، أمام يوسف وهبى بكل شهرته وصيته ومكانته الفنية !!

هنا .. يجد الانسان نفسه مضطراً إلى التوقف ، والتأمل.

التوقف لأن ليلى مراد عرفت فى تاريخ الفن فى مصر على أنها مطربة ، لم تشتهر أبدا كممثلة ، لكن بدايتها هذه تجعل الأمر قابلا للمناقشة ، حتى ولو كان اختيارها لأفلام يوسف وهبى من أجل الغناء أيضا !

لقد كانت قمة ليلى مراد الفنية – دون أدنى شك – فى فيلم «غزل البنات» . ولقد كان هذا الفيلم بالذات «ضربة» فنية

ارادها أنور وجدى – زوج ليلى مراد وصاحب أغرب القصص فى حياتها – مدوية ، كان ضربة فنية جمع فيها كل القمم بلا استثناء ... نجيب الريحانى ، ويوسف وهبى وعبد الوهاب معاً وفى فيلم واحد ... وكانت بطولة الشباب فيه لانور وجدى – الذى لعب فى الفيلم دورا ثانويا – وليلى مراد ... أما بقية أبطال الفيلم فكانوا : محمود المليجى ، عبد الوارث عسر ، فردوس محمد ، سعيد أبو بكر ، ثم سليمان نجيب ... واذا كنا نعترف مقدما ، أن كل واحد من هؤلاء يمثل قيمة فنية في حد ذاتها . فان ليلى مراد – حتى ولو كان دورها الأساسى فى هذا الفيلم هو الغناء – قد وقفت أمامهم جميعا ، ومثلت أمامهم جميعا ، وأثبتت وجودها أمامهم جميعا !

وهو شيء يدعو إلى التأمل ، ويدعو إلى التفسير ... فلم يحدث فى تاريخ الفن فى مصر ، أن وقفت «مطربة» – نحن هنا نستثنى كوكب الشرق أم كلثوم استثناء لا جدال فيه – أمام هذا الحشد الهائل من الممثلين ، لا فى فيلم واحد ، ولا فى مجموعة أفلامها جميعا .

واذا كانت هذه هى المحصلة ، فلا بد أن البداية كان لها أثر ما ... أثر لا نستطيع اليوم أن نكشف سره ولو بذلنا أكبر الجهود ، ذلك أن ليلى مراد وقفت أمام يوسف وهبى ، لا فى فيلم واحد ، بل فى ثلاثة أفلام متتالية ...

كان الفيلم الاول الذى عرضه عليها توجو مزراحى هو فيلم ليلة ممطرة .

وكان الأجر الذى عرض عليها هو ١٢٠٠ جنيه ، فلم يتردد زكي مراد ... بدأ الأمر كله وكأنه مقامرة أو مغامرة ، ولكن ، هل ثمة طريق آخر نحو الامل ؟!

وعندما وقعت ليلى العقد وتسلمت العربون ، انتقلت العائلة - فورا - إلى مسكن آخر في مصر الجديدة ، في شارع اسمه شارع الطيران ، ولم تمكث العائلة فى هذا المسكن طويلا ، فسرعان ما انتقلت - مع ذيوع اسم ليلى وانهيال المال عليها - إلى مسكن أكثر اتساعا فى شارع المراغى .

كانت ليلى قد خطت فى الطريق خطوات ، هى تترك كل شىء لزكى مراد ليدير الأمر والعقود ويسعى ويناقش ويرفع الاجر ويرفض العروض أو يقبلها ، تركت هذا له حقا لكنها كانت تتعلم منه ، وفى بضع سنوات كان أجرها عن الاسطوانة الواحدة قد ارتفع من ٣٠ جنيها إلى الف جنيه مرة واحدة ! ... لم لا وهى تغنى لعبد الوهاب والسنباطى وزكريا أحمد وكبار موسيقيى مصر، وأصبحت الافراح التى تحييها ليلى أو تقبل احياءها ، هى أفراح الطبقة القادرة .. ذلك أنها كانت قد قفزت من أذنى الأمير السكران فى كوم أمبو - وقبل

أن تظهر فى فيلم يحيا الحب – إلي آذان الطبقة كلها ، وغنت – قبل أن تصبح نجمة سينما – فى أحد الأفراح التى تحدثت عنها مصر طويلا .

كيف حدث هذا ؟!

مرة أخرى لابد من وقفة ، ولابد من عودة إلي الوراء قليلا.

وإذا كان عبد الوهاب قد اشتهر خلال حياته بالذكاء الشديد ، فلقد استفادت ليلى من هذا الذكاء إلى أقصى ما يمكن ... وعندما أراد مكرم عبيد باشا – سكرتير حزب الوفد – ان يحيى فرح شقيقته ، فلقد كان امرا طبيعيا أن يحيى الفرح صديقه محمد عبد الوهاب ، كان مكرم باشا عازفا ماهرا على العود ، كان فنانا وسميعا وذواقا للطرب ... وقد طلب من عبد الوهاب أن يرشح له مطربة تغنى معه فى الفرح... وكانت المفاجأة : أن عبد الوهاب رشح بطلة فيلمه الجديد ، رشح ليلى مراد .

ولقد تردد مكرم عبيد طويلا ، لكن تردده ذاب أمام إصرار عبد الوهاب الذى كان يعرف القيمة الفنية لصوت ليلى ، والذى أراد – دون شك – أن يدخل بطلته الجديدة باب الشهرة الذهبى فوق بساط يوصلها إلى تلك الطبقة ... وسارت ليلى فوق البساط بسهولة ، ونجحت ، وغنت ، واطربت ... وها هي

ذى ألحان عبد الوهاب تغنيها عن الاغنيات القديمة التى كانت تغنيها فى الافراح، وها هي ذى ألحان فيلم يحيا الحبُ تنتشر بين الناس ، وتضاف إليها ألحان جديدة لفيلم ليلة ممطرة ... و ... وكانت البقية فى الطريق .

واذا كان عبد الوهاب نجما يسطع فى عالم الغناء ، واذا كان «دون جوان» تتهافت عليه الفتيات ويحترقن حبا فى صوته ... فلقد كان يوسف وهبى نجما آخر يسطع ويتوهج في عالم المسرح والسينما ، وكان أيضا «دون جوان» من نوع تنتحر من أجله النساء!!

دخلت الاستوديو فى اليوم الأول لتقف أمام يوسف وهبى وهى تعلم أنها ليست روز اليوسف ولا فاطمة رشدى ولا أمينة رزق دخلت متعثرة ، لكن يوسف سرعان ما احتواها بصوته العريض وابتسامته وقامته الفارهة ، وهمسه الفرنسى بتلك اللكنة الشديدة الدقة يتسرب إلى أذنيها كالمخدر :

«انتى ليه عاملة زى الصينى تنكسرى من أول لمسة !»

آه يا أحلام الطفولة الموشاة بالتراتيل فى كنيسة «نوتردام دى زابوتر» ، ومنذ غادرت المدرسة لم تسمع تلك اللكنة بتلك الدقة المنغمة بالرقة ، ولا تكاد الفتاة ترفع رأسها إليه حتى يختفى ، وتفتح فمها دهشة وهى تشاهد العملاق وقد تحول

إلى عجينة طرية في يد المخرج ... ناداه المخرج ليصور مشهدا فأطاع ، مثل المشهد فلم يرض المخرج وطلب منه أن يعيده فأطاع طلب منه المخرج أن يتحرك فتحرك ، أن ينطق فنطق ، أن يقف فوقف ، أن يغضب فغضب ... وعندما انتهى المشهد ، عاد إليها وعادت إليه ابتسامته !

«انتى خايفة من أيه يا حلوة ، ولا يهمك ، أنا حاقف جنبك بس ماتقوليش لحد !!»

ووقف يوسف وهبى بجوارها بالفعل ، راح يشجعها ويوجهها ويهمس لها كيف تلعب الدور ، راح يوسف يعلمها كيف تبكى الناس ، وكيف تمثل ... وكانت ليلى تخطىء ، وكان ينبهها إلي الخطأ ، لكن صوته أبدا لم يتعد أذنها إلى آذان الآخرين .

لم تحب ليلى يوسف وهبى ، ابدا لم تقع ليلى فى حبه ... ولقد كادت تقع فى حب ممثل آخر اسمه فاخر فاخر ... كان فاخر فاخر من تلاميذ يوسف وهبى ، وكان ممثلا عبقريا وعظيما ومعروفا ، وكان شديد الجمال ، شديد الجاذبية ، لكنها كانت قد تعلمت من درسها الاول مع محمد عبد الوهاب، تعلمت الا تقع فى الحب ابداً، وأن تهرب من الاستوديو كلما انتهت من عملها ... وعندما انتهت ليلى من تصوير فيلم «ليلة ممطرة» ... كانت قد تعلمت شيئا واحدا ، علمه لها يوسف

وهبى واقنعها به ... كان يوسف «ابن باشا» ، ابن ناس ، من عائلة معروفة ، وكان فنانا كبيرا ، وكان يحترم فنه كما يحترم ذاته ... وتعلمت ليلى أن علي الفنان أن يحترم نفسه حتي يحترمه الناس ، فقررت أن تخلع الفستان الأسود - لأول مرة منذ احترفت الغناء في حفلاتها وخرجت من الاستوديو تحمل نفسا أخرى ، وقلبا آخر ، وذهبت إلى الخياطة ، وطلبت فستانا أبيض اللون !!



لم تمض أسابيع قليلة حتى عرض فيلم «ليلة ممطرة» فاكتسح السوق اكتساحا ، واذا كان فيلم يحيا الحب قد نجح فذلك لأن بطله محمد عبد الوهاب ، أما والفتاة تقف اليوم أمام عملاق التمثيل فى فيلم واحد ، أما أن تثبت وجودها ، فهذا يعنى أنها تحمل موهبة كبيرة ... وسرت أغانيها فى مصر لتدخل كل بيت ، وكل قلب ، وجاءها توجو مزراحي يعرض عليها أن تلعب البطولة فى فيلمين آخرين ، وأمام يوسف وهبى.

ولم تقل ليلى : نعم ... لكنها قالت : حاتدفع كام !!

وابتسم توجو مزراحى الذى دفع لها منذ أسابيع ١٢٠٠ جنيه عن فيلم ليلة ممطرة ، ابتسم وقال : ٢٥٠٠ جنيه للفيلمين.

وقالت ليلى : لا

قالتها وهى واثقة أشد الثقة بأنه سيرفع الاجر ، واختارت رقما كانت واثقة - أيضا - بأنه سوف يهز الرجل هزا .. لكنها كانت واثقة - مرة ثالثة - بأنه سيوافق .

«عاوزه كام يا مدموازيل ليلى؟!»

«عاوزه ٣٠٠٠ جنيه للفيلم الواحد !»

وكاد توجو مزراحى يقع مغشيا عليه لم يكن زكى مراد - الأن - هو الذى يتفاوض كانت السنوات قد علمت العصفور كيف يصبح نسرا ، وكانت ايرادات الفيلم خيالية واشتهرت أغانى ليلى مراد فيه ، كانت قد أصبحت - بعد فيلمين اثنين - فيديت ، وتحولت إلى «ليلى» الشباب فى مصر ... وأصبح اسمها ماركة مسجلة ، ذلك أن الفيلمين اللذين عرض عليها توجو مزراحى أن تلعبهما أمام يوسفى وهبى ، كانا يحملان اسمى : ليلى فى الظلام، وليلى بنت الريف !!

حاول توجو مزراحى أن يخفض الأجر ، لكن ليلى أصرت على موقفها ، فرضخ الرجل ، ووقع معها العقدين .

ها هو ذا المجد ينحنى لتصعد إليه تلك الفتاة التى أصبحت فيما بعد - وحتي اليوم أشهر مطربات الشاشة

المصرية . ها هو ذا المجد يأتيها بالمال بلا حساب ، وها هى تشترى سيارة شيفروليه فارهة وتقودها بنفسها مثلها مثل بنات الباشوات والأميرات وها هى ترفض عروض الحفلات أو تطلب أجورا خيالية عن ليلة واحدة ... واذا كان غناؤها منذ عام وبعض عام فى فرح شقيقة مكرم عبيد حلما تحقق ، فمثل هذه الافراح الأن أصبحت عبئا ... كانت الحفلات - أية حفلات - تذكرها بالدرجة الثانية ، بقرى الصعيد ومراكزه ، بالغبار ، بالوحدة ... بالطعام على مائدة خاصة مع الموسيقيين، بالتعب ، بالبهدلة ... وانهالت عليها عقود الاسطوانات ، وكانت اسطواناتها تطبع بالألوف ، وتدفق المال بين يديها ، وأراحت العائلة تماما ، ووجد زكى مراد نفسه يرقب جنينه وقد تحول إلى عملاق ، وكانت الست جميلة تفعل نفس الشيء الذى كانت تفعله منذ سنوات ، تنهض من الفجر لتجهز الطعام والشراب والملبس وكل شئ ، وتظل تدور وتدور طوال يومها فى البيت ، حتى اذا جن الليل ، ونام الجميع ، ظلت هى ساهرة حتى تأتى ليلى ، لتطمئن عليها ، لتضعها فى الفراش ثم تنام .

وعرض الفيلمان ، ونجحا نجاحا شديدا وأصبحت ليلى تملك رصيدا هائلا من الاغنيات ، وجاءها توجو مزراحي بعقد

جديد ، وقصة جديدة ، قصة ربما كان يعمل فيها منذ أن دخلت ليلى الاستوديو معه لأول مرة ... جاء توجى مزراحي يحمل عقدا جديدا، وكان يعلم علم اليقين وقد نجح فيلماه كل هذا النجاح ، أن ليلى سوف ترفع أجرها هذه المرة أيضا ، وكان مستعدا لذلك تماما، وبالفعل . رفعت ليلى أجرها من ٣٠٠٠ جنيه للفيلم ، إلى ثمانية آلالف جنيه دفعة واحدة ... ووافق توجى مزراحى ، أنها اليوم اسم يسطع فى عالم الغناء، لكن المذهل فى الأمر أن ليلى طلبت منه «السيناريو» .

«ليه ؟!»

قالت : «علشان أقراه !»

واذا كان اسم الفيلم الأول لها مع توجو مزراحى «ليلى بنت الريف» ، وكان اسم الفيلم الثانى «ليلى فى الظلام» ، فلقد اكتفى الرجل بعد أن اقتبس قصة غادة الكاميليا بكل ما لها من شهرة طبقت أفاق العالم فى تلك الايام ، اكتفى بان يطلق على الفيلم اسم «ليلى» فقط !!

فهل يرفض والامر كذلك أن يعطيها السيناريو ، وأن يناقشها فيه وأن يستمع إلى وجهة نظرها وأن يعدل ويبدل كلما طلبت ذلك؟!

كان الجواب بالقطع لا ... كانت ليلي قد أصبحت «ليلى» الحلم، كانت سعيدة شديدة الثقة بنفسها ، كانت صورها

تغطى جدران البيوت فى شوارع مصر ، وكانت جميلة ، وصغيرة ... وفوق كل هذا ، كانت تحب !

وهو شيء طبيعى أن تقع فتاة فى مثل سنها فى الحب ، شيء طبيعى للغاية ... لكن المهم في الموضوع هو شخصية ذلك المحبوب ... كان «بك» ابن «باشا» ، كان شابا أرستقراطيا التقت به وهو يكبرها بأكثر من عشر سنوات ، فوقع كل منهما فى حب الآخر حتى النخاع .

وكانت حكاية .

من البوم ليلى مراد



ليلى مراد ترد في ابتسامة وحب على إحدى المعجبات
اللواتي يطاردنها بالرسائل والتليفون



- ليلى مراد وعبد الوهاب ورحلة فن جميل



– ليلى مراد رحلة مرح وسعادة وتسلية مع أصدقاء لها فى كابينتها بالمعمورة



– صورة تجمع ليلى مع أنور وجدى ويوسف وهبى فى أغنية يا قمر تأليف حسين السيد وتلحين أحمد صدقى.



– المطربة ليلى مراد والمخرج بركات والمصور عبده نصر.



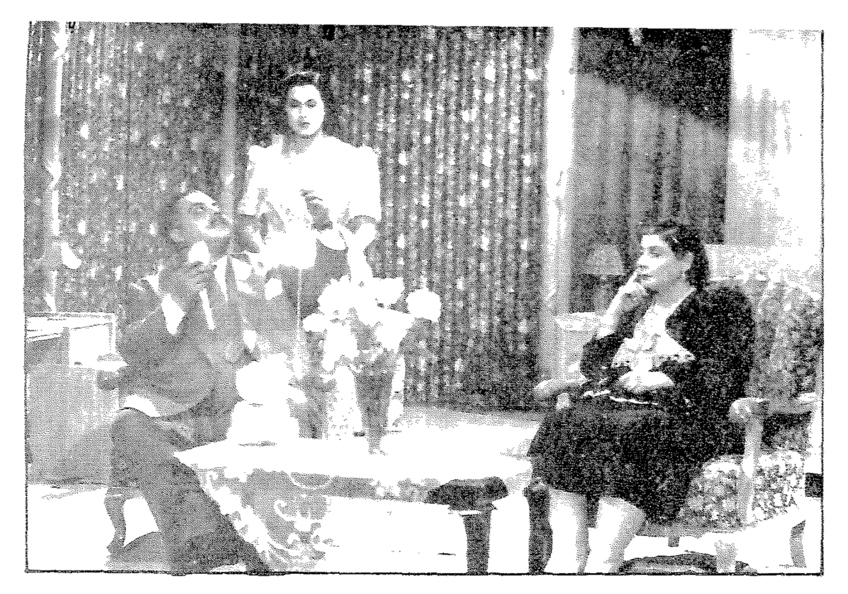
- ليلى مراد وأنور وجدى وقصة حب مثيرة.



- صورة تجمع أبطال فيلم ليلى بنت الريف إخراج توجو مزراحي.



- لقطة من فيلم ليلى بنت الفقراء.



– فيلم «المجنونة» ليلى مراد وسيد بدير ومارى منيب.



- إسماعيل يس وليلى مراد فى فيلم ليلى بنت الاكابر.



– لقطة من فيلم ليلى بنت الأكابر وهى تغنى «يارايحين للنبى الغالى» تلحين رياض السنباطى وتأليف أبو السعود الإبيارى.



- حفلة زواج ليلى مراد وفطين عبدالوهاب .



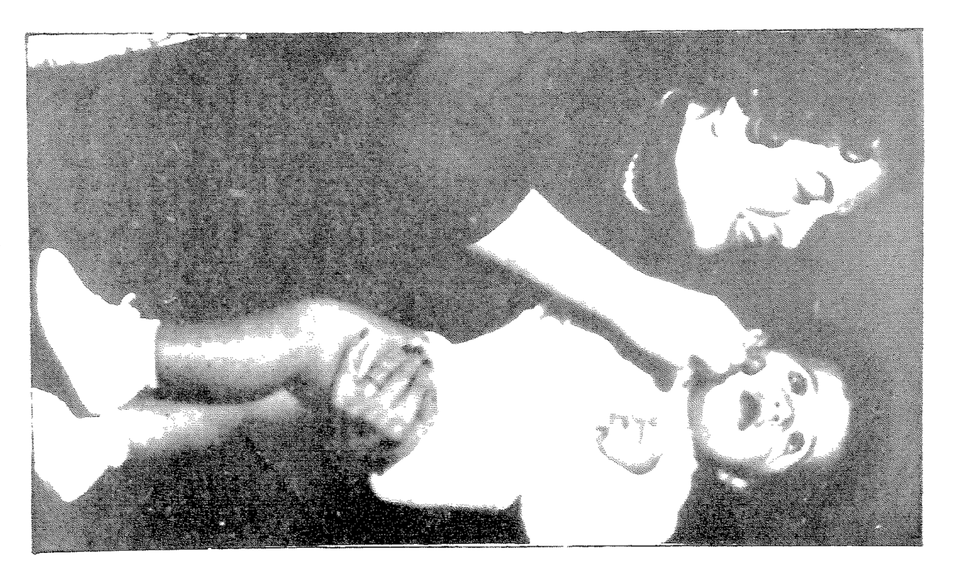
· الفنان المبدع مع قيثارة الحب والنغم ليلى مراد فى فيلم غزل البنات .



- ليلى .. المنتجة والمطربة والممثلة تغنى أغنية لعبد الوهاب من ثلاث أغنيات مهداة منه إليها.



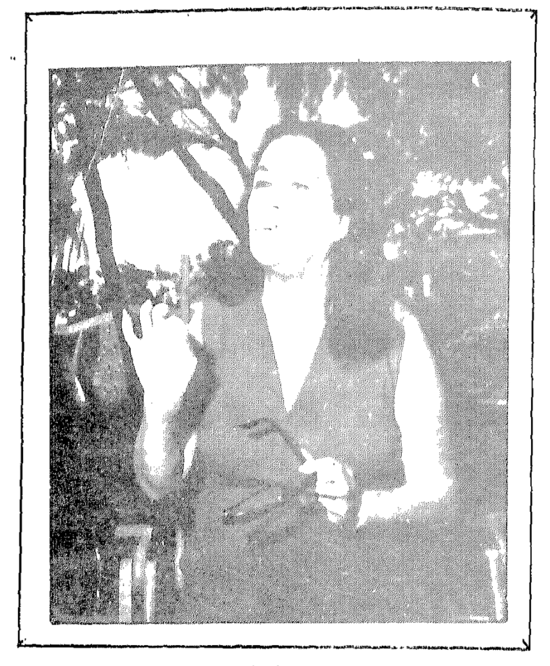
بوستر فيلم ليلى بنت الأكابر.



- ليلى مراد مع ابنها زكي .

الفصل التاسع

الحب والموت !



عندمـا نجح فـيلمـا «ليلى فى الظلام» و«ليلى بنت الريف» أصبحت ليلى مراد نجمة ومطربة سينمائية معترفا بها من الجمهور والنقاد والمخرجين على السواء ... كانت ليلي - فى فيلم ليلى فى الظلام بالذات - قد أثبتت جدارتها كممثلة عندما قامت بدور فتاة عمياء ، استدرت دموع الجمهور وعطفه وحبه معا ، لذلك ... عندما عرض عليها توجو مزراحي أن يخرج لها فيلما ثالثا باسم «ليلى» فقط ، طلبت أجراً قدره ثمانية آلاف جنيه ، ووافق توجو مزراحي دون تردد .

ولم تكن قصة فيلم «ليلى» غريبة على الجمهور المصرى ، كانت القصة مأخوذة عن مسرحية «غادة الكاميليا» التى كتبها ألكسندر دوماس الابن فى منتصف القرن التاسع عشر ، وأحدثت دويا هائلا - فى العالم كله - عندما مثلتها سارة برنار فى باريس فنجحت نجاحا عظيما ... كانت المسرحية قد ترجمت إلي العربية ، وكانت قد قدمت أيضا علي خشبة المسرح المصرى ، ولعبت روز اليوسف دور الفونسين بليسيس، التى اشتهرت فى التاريخ باسم غادة الكاميليا .

كانت ليلى مراد تعلم كل هذا ، وكانت قد شاهدت الفيلم الأمريكى الذى لعبت جريتا جاربو دور البطولة فيه ، فقررت

أن تدخل التجربة باستماتة ، ولما كانت بطلة الفيلم مريضة بالصدر ، فلقد طلبت ليلى من توجو مزراحى أن يصحبها إلى مستشفى الصدر بحلوان لتتعلم كيف يتصرف المرضى بهذا المرض .

وترددت ليلى على مستشفى الصدر مرات ومرات ، وراحت تنصت إلى السعال الجاف المتقطع الذى يطلقه المرضى ، وراحت تقلد هذا السعال حتى أصبح ملازما لها ، وعندما انتبهت إلى هذه الحقيقة ، وأرادت أن تتوقف عن السعال لم تستطع ، كانت قد تعودت عليه ، وأصابها الرعب ، كما أصاب الرعب عائلتها جميعا، إن هذا المرض من الممكن أن ينتقل من انسان إلى انسان بالعدوى، فهل أصاب ليلى المرض أثناء زيارتها للمستشفى ؟!

وعندما زارت الطبيب ، وفحصها ابتسم ، وطمأنها ، وقال: أنها فى حاجة إلي الراحة ... ورغم أن الصيف كان يقترب ، ورغم أن الاستعداد للفيلم، كان على قدم وساق ، فلقد قررت ليلى أن تستجم فى الاسكندرية شهرا ... ووافق توجو مزراحى ، وطارت ليلى من الفرح ، لكنها لم تكن تعلم ، أنها في هذا الشهر بالذات ، سوف تقع فى الحب ... وأن هذا الحب سوف يصبح علامة في حياتها ، سوف يصبح الحب الكبير فى العمر كله .

●●●

فى البيت ، كانت ليلى قد أصبحت كل شئ .. حتى زكى مراد، ذلك الفحل العظيم ، لم يعد يلازم ابنته فى الحفلات وفى الاستوديو، لم تعد ليلى صغيرة ، ولم يعد هو قادرا على بذل مجهود ضخم كالذى كانت تبذله ... وكانت العائلة تكبر ، والاعباء تتزايد ، والاطفال يشبون عن الطوق ، وكان منير مهملا فى المدرسة ، اقصى امنياته أن يسرق العود ، وأن يتسلق الدولاب ، وأن يجلس فوقه ليعزف ويغنى، غير عابئ بصيحات التهديد والوعيد التى كانت يتلقاها من تحت ... و ... ووسط العائلة كلها كان ثمة شخص يحمل العبء هو الاخر

يسهر على الجميع ، ويطعم الجميع ، ويلحظ الجميع ، ويطمئن على الجميع ، ولا ينام – وهو يستيقظ فى الفجر – إلا عندما تعود ليلى فى آخر الليل ، وتأكل ، وتبدل ملابسها ، وتدخل تحت الأغطية ، ويسود الظلام البيت ، وتهدأ الانفاس ، وقتها فقط .. كانت الست جميلة تأوى إلى فراشها .

منبع الحنان والتفانى للجميع وفى الجميع كانت الست جميلة أم ليلى .

أما ليلى نفسها ... ليلى ليلى ... فكانت لاتزال تحيا فى عالمها الخاص ، حياتها تنعرج من البساطة إلى التركيب ، تنغمس في الفن فيجذبها إليه بخيوط بلا عدد ... لكنها عندما

كانت تضع رأسها على الوسادة ، وعندما تغمض عينيها ، تحلم بليلاها ، ليلى بنت الذوات ، التى تتقن الفرنسية ، الجميلة ، الشهيرة ، الموسرة ، النجمة ، التي خلعت الفستان الاسود .

وقعت ليلى فى الحب .

قصة بسيطة عادية ، قدمتها السينما عشرات المرات بالحرف الواحد ، فقط ... النهاية مختلفة .

وحتى اليوم لم يدخل حياة ليلى مراد رجل مثل هذا الرجل الذى كان يكبرها بعشرين عاما ، الارستقراطى ، الغنى ، صاحب الاطيان ، ابن الذوات الذى يشغل مركزا فى وزارة الخارجية المصرية !!

كانت صفات الحبيب الاول لليلى مراد ، الحبيب الذى لم تحب في حياتها انسانا مثلما أحبته ، كانت صفاته نموذجية لشاب ارستقراطى يعيش فى مصر أثناء الحرب العالمية الثانية .

رأته في نافذة مقابلة لشرفتها فى حى جليم بالاسكندرية ، ذلك أن العائلة كانت قد استأجرت فيللا طوال شهر يوليو . أمام الفيللا تماما كان يقوم – وما زال – فندق «سان جيوفاني» ... بدأت ليلى ترقبه ، هو يصحو متأخرا ، ويعود

مع الفجر ، شعره الرمادى ينساب كبحر فوق رأسه ، ملابسه عصرية ، على شفتيه ابتسامة ، وأسخف ما فيه انه لم يكن يعيرها أى اهتمام اذا ما ظهرت فى الشرفة ... ألا يعرف أنها «ليلى مراد» !؟

مرت الأيام وصاحبنا يعيش حياته على وتيرة لاتتغير ، وسألت ليلى «منادى السيارات» عمن يكون ، وعرفت منه رقم الغرفة التى ينزل فيها ، وحصلت على رقم تليفون الفندق ، وطلبته .

بدأت الحكاية «شقاوة بنات» ، ضحكات وهمسات ووجوه تحمر، ولها صديقة تلازمها حتى اليوم هى «نوال» ... وقبل أن تطلبه فى التليفون شاغلته من شرفتها ، ابتسمت لوحت ، تسمرت بالساعات، لكنه كان وكأنه لايرى أحدا ، أقصى ما فعله أنه ابتسم!!

سمعت ليلى صوته عبر الاسلاك فسألته دون تحية :

«إنت اسمك أيه !؟»

وجاءتها ضحكة تحمل اسمه ، كان خبيرا بالغزل ، كان محنكا زار أوربا وأمريكا ويتقن الرقص ويقضى أمسياته كلها فى لعب الورق ... وفى نفس اليوم ، فى السابعة مساء ، كانت ليلى تنتظره وكل خلجة فى جسدها ترتجف ، وفى شارع

جانبى في جليمونويلو الارستقراطى – فى تلك الايام – ركبت ليلى بجـواره وكـانت تنتـفض ، هى الآن ليلى مـراد ، هى شهيرة، اسمها على الاسماع واذا بالحبيب يلتفت نحوها باسما وهو يقول :

«انتى صغيرة قوى!»

انتفضت واشارت إلى بنطلونه قائلة :

«أنا عندى بنطلون زى ده !»

وملأت ضحكته السيارة ، وكانت السيارة تنطلق فى طريق أبي قير حيث بدت الدنيا هاجعة تماماً ، هادئة تماماً ، كانت تبدو جميلة إلى حد يسلب النفس ... فى ذلك الجو قال لها بحنان : «تعرفى أني بتـأثر قـوى لما ارجع ألاقـيكى فى انتظارى؟!»

إذن ، فلقد كان يعرف كل شىء ، حاولت أن تقول شيئا ، أن تدافع عن كيانها الذى ذاب فى كيانه ، لكنها لم تستطع ، وكان هو يسألها :

«انتى ليه بتنتظرينى بالليل يا ليلى !»

ووجدت نفسها تقول : «علشـان أطمئن أن مفيش معاك واحدة ثانية !»

●●●

قد يدفع الانسان نصف ما تبقى له من عمر ، لتعود له بعد كل تلك السنوات ، لحظة من تلك اللحظات التى لايعرفها العمر الا وهو في قمة ربيعه ... طريق ابي قير ، وصفارات الانذار ، والقلق عليه من الغارات ، والنظارة المعظمة التى اشترتها خصيصا من أجله ، الحب ، الحب فى أكمل صوره . الرجل البالغ المجرب وهو يتهاوى مع الأيام ليقع هو الآخر في الحب ، قاوم لكنه لم يفلح ، كان الشهر قد انقضي ، وليلى عادت إلى القاهرة ودخلت الاستوديو لتلعب نفس الدور الذى لعبته سارة برنار ، وجريتا جاربو ، وروز اليوسف ، دور الفتاة التى تضحى بحياتها وحبها من أجل حبيبها، لكنها كانت تراه كل يوم ، وكان يراها كل يوم ، ولا يكفان عن الحديث فى التليفون ... وكانت ليلى - أيضا - قد انضمت إلى النادى الذى تتردد عليه اسرته الارستقراطية ، وكانت قد بدأت فى تنفيذ خطة رسماها معا ، لتتعرف بالعائلة ... ذلك انهما قررا الزواج.

●●●

قبل أن ينتهى تصوير فيلم «ليلى» ، كان كل شئ يبدو بهيجا ، مستقرا ... كان الدخل يرتفع والأسرة تجد حاجتها تماما . وكانت ليلي تحب وتعاهدت على الزواج ... كل شيء دان الأن ليديها ... كانت سعيدة دائما ، مثلما كانت سعيدة

في ذلك الصباح وهي تستيقظ من نومها نشطة فرحة ، ومنذ أيام فقط كانت سعادتها قد بلغت الذروة ، أن حبيب القلب رفض الانتقال إلى سان فرانسيسكو عندما رشحته وزارة الخارجية لمنصب هناك ، اعتذر ليبقى بجانبها ... كان عليها - فى ذلك الصباح - أن تذهب إلى الاستوديو لتصوير بضعة مشاهد لكنها ما كادت تنتهى من الافطار وتستعد للخروج ، حتى دق التليفون ، واعتذروا لها فى الاستوديو ، فلقد تأجل التصوير .

جنت ليلى بالفرحة ، أنها تستطيع أن تراه إذن هرولت خلفها الست جميلة وهى تقول : «ما تخليكى فى البيت يا ليلى علشان ترتاحى !» ... لكن ليلى صاحت : «أنا رايحة النادى» ثم عادت فقالت : «لا أنا حاروح لنوال» ..

عند نوال تستطيع ليلى أن تطلبه فى الوزارة ، وتستطيع أن تراه ، غادرت باب البيت إلى سيارتها الشيفورلية الجديدة، جلست خلف عجلة القيادة ، وانطلقت فى شوارع مصر الجديدة .

ولم ترفع ليلى يدها عن زر الجرس ، وعرفت نوال أنها ليلى فهرولت لتفتح لها الباب ، خطت ليلي خطوة داخل البيت فدق جرس التليفون ، مدت يدها وهى تتقافز بالسعادة ووضعت السماعة فوق أذنها ، قالت : «ألو» ، فجاءها صوت أمها

متهالكا: إلحقيني يا ليلى!»

ولثوان خاطفة تجمد كل شيء وتوقفت الحياة ، همست «ماما!»، وجاء صوت الام مضعضعا بالأمها : إلحقيني ... انا تع ... بانه !» .

ألقت ليلى بالسماعة وانطلقت إلى الشارع كالمجنونة ، اندفعت بها السيارة فى الشوارع بأقصى سرعة ، كل شيء يتطاير من حولها ، البيوت والناس والجدران والارض ، وصوت أمها كان يودعها عند الباب منذ دقائق :

لازم تتغدى معانا ، حاعمل لك كفتة !» ... وصوان مقام ، وناس يعزون !!

رؤيا ... خيال ...حلم ... أى تفسير ممكن ، كل ما هنالك أنها رأت الصوان والمعزين قبل أن تصل إلى البيت ، وتصعد درجاته عدوا ، واقتحمت البيت لترى أمها متقطعة الانفاس ، تمسك صدرها بيدهاتئن حينا ثم تصرخ ، وليلى كالمجنونة ، الكل حائر ، ويطلبون طبيبا ، ثم يطلبون الاسعاف ولكن الجسد كان يتهاوى ، والأنفاس تتقطع وكان آخر ما همست به الأم :

«ليلى .. خلى بالك من إخواتك»

قالت هذا ، ثم كف القلب عن الخفقان .

●●●

الفصل العاشر

غادة الكاميليا على مذبح العائلة



ماتت الست جميلة ، وتركت ليلى لتواجه مسئولية العائلة كاملة ... كنت الأم حتى ذلك الصباح الذى لفظت فيه أنفاسها الأخيرة بين أيدى ابنتها ، هى كل شئ فى البيت ، هى المسئولة عن الكبار والصغار معا ، عن مصروفات المدارس والملابس وتدبير الامور ، ولقد حلت «طنط مريم» - أخت الست جميلة - محل الأم فى البيت، ولا تزال حتى اليوم ، وحلت ليلى محل الأم فى تدبير الامور، وأصبح عليها أن تواجه الواقع بمفردها ... ذلك أن زكى مراد كان قد تقاعد تماما ، وأصبح حتى لايصاحب ابنته إلى الاستوديو والحفلات، كان يزورها بين الحين والحين إذا ما كان أحد المشتركين فى الفيلم صديقا له ، أما غير ذلك ، فلقد تحولت ليلى إلى أب وأم لكل فرد فى الأسرة الكبيرة .

مرت أيام الحزن ، وغرقت ليلى فى العمل والحب معا ... أكملت فيلم «ليلى» وليس لها سوى حبيبها الارستقراطى، ثم نوال صديقة العمر ، وشقيقتها ملك ... وأبلة بثينة ، شخصيات أخذت على عاتقها أن تقف بجوار النجمة التى كانت قد

أصبحت ذائعة الصيت ، لكن الحبيب كان دون الجميع – مصدر السعادة الحقيقى وطاقة الامل تشرق على المستقبل ، وكلما مرت الأيام ازداد الحب بينهما اشتعالا ، وكلما نجحت الأفلام أصبح رباطهما أمرا لا مفر منه .

فعرض فيلم ليلى ...

عرض فى سينما كوزمو ، وأمامه ... على الرصيف المقابل فى نفس الشارع ، كان يعرض فيلم رصاصة فى القلب الذى لعبت فيه راقية ابراهيم دور البطولة أمام محمد عبد الوهاب ، كان التنافس شديداً، والاقبال على الفيلمين أشد ... وكان محمد كريم – حتى ذلك الوقت – غير مقتنع بليلى كممثلة ، ربما كانت – من وجهة نظره – مطربة محبوبة ، لكنها كممثلة لم تكن ترقى إلى تقديره أبداً ... ولقد نجح فيلم رصاصة فى القلب نجاحاً أمتد إلى أسابيع عديدة لكن عرض فيلم ليلى ، أمتد إلي ستة أشهر كاملة .

وذات يوم دق جرس التليفون ، وكان المتحدث هو محمد عبد الوهاب ، وكان الفتى الاخضر العود قد أصبح رجلا أزدادت خبرته وحنكته وشهرته ، وكان يعرض على ليلى، ومعه محمد كريم هذه المرة ، أن تلعب بطولة فيلمه القادم ... وافقت ليلى ، وطلبت خمسة عشر ألف جنيه أجراً لها ؟!

كان المبلغ خرافيا ومهولا ، وحاول عبد الوهاب أن يتفق مع ليلى على أجر معقول ، لكنها أصرت على موقفها ، ولم تتنازل عن قرش واحد ... و ... وفشلت الصفقة تماما ... كما فشل حبها الاول وتحطم على صخرة الواجب والتقاليد ورومانتيكية هذا العصر الغريب .

كان حبها قد ذاع أمره ، ولم يعد الحبيب الدبلوماسى يخفى على عائلته الارستقراطية ذلك الغرام المشبوب ، وشهدت مناطق القاهرة الخلوية تلك النزهات بالسيارة ، حيث كانت ليلى تفعل ما تفعله فى الأفلام تماما ، كان الحبيب يقود السيارة فى طريق المعادى حيث ظلال الاشجار تطل من جانبى الطريق ، وفى طريق الهرم حيث الطبيعة توحى بالهدوء والسكينة ، وكانت ليلى تغنى كل أغانيها ، وتحب بكل ما فى قلبها ، وتعشق ، وتحلم بالعش الذهبى.

ثم قرر الحبيب أن يعلن رغبته فى الزواج منها ، واجتمعت العائلة عن بكرة أبيها تناقش الامر ، الام والاخوة والاخوات ، ولم يطل النقاش طويلا ، كانت ليلى قد تعرفت بهم جميعا ، وكانوا قد تعرفوا بها فردا فردا ، ولم يكن هناك ما يمنع من إتمام زواج ابن العز والحسب والنسب والأصل ، من نجمة طبقت شهرتها - لا مصر وحدها - بل العالم العربى كله ...

وصدر قرار العائلة بالموافقة ، وأعلنت الأم رضاها بشرط واحد ... أن تعتزل ليلى الفن نهائيا !

كانت ثلاث سنوات قد مرت منذ ألتقت به ليلى لأول مرة فى أحد شوارع الاسكندرية الجانبية ، وكان الحب قد تحول من مجرد نزوة فتاة جميلة ومطربة مشهورة إلى شئ أعمق ، إلى ارتباط حقيقي ... وكانت العقبات الاجتماعية قد ذللت ، لم يكن يمضى يوم - طوال - دون أن يلتقى فيه الحبيان أو - على الأقل - يتحدثان بالتليفون ، وكانت ليلى سعيدة بحبها ، وعندما زف اليها الحبيب خبر موافقة العائلة كان هو الآخر سعيدا ، يكاد يطير من الفرح ، وتظاهرت ليلى هى الأخرى بالفرح ، قد تكون أحست بالفرح فعلا، لكن شيئا هائلا كان يقف أمام هذه السعادة ، قرارا كان عليها وحدها أن تأخذه .

ومرت الأيام ، أيام قليلة لاتتعدى أسبوعا أو أسبوعين ، وكانت ليلى تفكر ، أيهما تفضل ، سعادتها ، أم عائلتها !

كانت العائلة - كلها - تعتمد على ليلى اعتمادا كاملا ، لم يكن هناك مورد أو دخل أو ايراد ، وكان على ليلى أن تختار بين سعادتها أو عائلتها ... واجتمعت الصديقات من حولها ، ورحن يرددن على أذنها أنها فعلت كل ماتستطيع ، وأنها قامت بالواجب، لكنهن يتحدثن إلى أذن صماء ، فلقد كانت ليلى تقرر ، وهى مترددة ، أن تختار العائلة .

حتى كان يوم التقى فيه الحبيبان فى السيارة كما هى العادة ، كان الرجل سعيدا لا يعلم بالصراع الذى ينشب أظافره فى صدر حبيبته ، وقفت بهما السيارة أمام محل «مونترو» بمصر الجديدة ، وكانت هى قد قررت أن تعلن موقفها فى ذلك اليوم ، قررت هذا فى نفس الوقت الذى كان الرجل فيه قد بدأ يعد العدة للزواج فعلا ، وفى ذلك اليوم بدت وكأن قناعا قد أسدل فوق وجهها ، سألها فى حنان : «مالكِ يا ليلى ؟ ! »

فردت عليه : «أنا عاوزه أقول لك حاجة أنت مش منتظرها!»

ولم يكن هو ينتظر مثل الكلام الذى قالته ليلى : قالت : «أنا مش حاقدر أعتزل الفن ؟؟» ... هكذا ببساطة وبوضوح وصراحة وفى خط مستقيم أعلنت عليه قرارها ، وكانت صدمته مروعة ، ظل لدقائق كمن ضرب على رأسه لا يعرف ماذا يقول أو يفعل ... لقد بذل جهدا خارقا حتى يحمل العائلة على الموافقة ، وزف الخبر إلى ليلى فطارت معه بالسعادة والفرح معا ، ومضت الأيام وأعلن الخبر وبدأ يستعد لتأثيث مسكنه ... ثم ها هى ذى ليلى ترفض ، فجأة ودون مقدمات !! «ما أقدرش أتخلى عن العيلة !»

كأنه مشهد سينمائى لفيلم من أفلام تلك الأيام ، أو كأنها تعيد تمثيل دورها فى فيلم غادة الكاميليا مع بعض التحوير ، لا فرق على الاطلاق بين الواقع والتمثيل ... يكاد الأمر فى تلك الأيام يختلط وخطوات الحياة تمتزج ... وصوت الحبيب يأتيها مرتجفا :

«أنا عارف أنك نبيلة يا ليلى ، بس مش ممكن تضحى بنفسك بالشكل ده !!»

ولقد قالت أبلة بثينة نفس الكلام طوال الأيام الماضية دون جدوى ،

«أنا مرتبى كذا وأملاكى كذا ودخلى كذا ... أنا تحت أمرك؟!» وهل كان من المعقول أن تتزوج رجلا ينفق على عائلتها ؟!

«ليلى أنا ... ...»

قاطعته :

«أنا آسفة»

كان قرارا نهائيا وحاسما ، وأسدل فى مغرب ذلك اليوم أمام محل مونترو الستار على قصة حب دامت ثلاث سنوات ، وافترق الحبيبان ، وظلت ليلى مراد تتلقى – من بعد ذلك اليوم

وعلى أمتداد العمر - باقة من الورود فى كل عيد ميلاد لها ، كان الحبيب يرسل هذه الباقة بانتظام لسنوات تزيد على العشرين ، ثم انقطعت هذه الباقة منذ ثمان سنوات فقط ، وعلمت ليلى بانقطاع الورد فى عيد ميلادها أن حبيبها قد مات.

و ... و ...

ولقد مات الرجل أعزب ... دون زواج ! ؟

تبدو قصص الحب فى حياة ليلى مراد شديدة الشبه بأغانيها ... هى كثيرة ومتنوعة لكنها جميعا تتميز بأنها تعزف لحنا واحدا وأسلوبا واحدا ، أغرب ما فيه ، انه لا يصيبك أبدا بالملل !!

نجحت قصة غادة الكاميليا التى لعبتها ليلى مراد أمام ممثل شاب وسيم اسمه «حسين صدقى» وكان حسين صدقى فى تلك الأيام نموذجا شديد الدقة لشاب من الطبقة المتوسطة الفقيرة ، ذلك النموذج الذى يتسلح دائما بالفضيلة فى مواجهة ظروف الحياة القاسية ... وكان أنور وجدى - فى تلك الأيام بالتحديد - يمثل نموذجا شديدا الاختلاف ، كان يلعب الأدوار الثانية فى الأفلام وكان يمثل دور الشاب الفهلوى - الشرير أحيانا - الخفيف الظل ابن البلد القادر على حلب الهواء نقودا .

نجحت قصة غادة الكاميليا فدخلت ليلى مراد إلى الاستوديو لتلعب قصة روميو وجولييت ، لقد اختاروا للقصة عصرا من العصور العربية ذات الملابس الزاهية حتى تتفق مع مسرحية شكسبير ، وكانت ليلى ستلعب دور جولييت ، أمام مطرب مشهور هو ابراهيم حمودة .

وفى أثناء تصوير الفيلم الذى لم ينجح ذلك النجاح الذى كان منتظرا له ، وكانت ليلى تجلس ذات صباح في غرفة الماكياج ، جاء ها من يخبرها بأن «أنور وجدى» فى الاستديو، وأنه جاء خصيصا ليقابلها .

كانت ليلى تعرف أنور ، لكنها لم تكن قد التقت به من قبل، وعندما دخل عليها الغرفة لم يحاول - أبدا - أن يلف أو يدور ، بدأ لها صريحا وعمليا إلى أقصى الحدود و لقد وضع كل ما يملك من مال - مع مجموعة من الشركاء - لإنتاج فيلم يلعب بطولته أمامها ، ويخرجه كمال سليم .

قالت ليلى : بس أنا أجرى كبير جدا ! . قال : «أنا حطيت كل فلوسى فى الفيلم ده ، ومش عاوز غير ليلى مراد !»

قالت : «أنا بأخد خمستاشر ألف جنيه .»

قال : «أنا بأبدأ حياتى ، وأنتى لازم تساعدينى !»

رغم كل ما فى حياة أنور وجدى من فهلوة كان معها ، فى هذا اللقاء رجل أعمال محدد المعالم والهدف ، وفى تلك الأيام لم يكن نجما يتفاوض مع مطربة ناشئة ، لم يكن أكبر من الملك نفسه وقد عرفت ليلى كيف تروضه ... كان أنور نوعية أخرى من الرجال ، كان فنانا مكافحا طموحا شديد الحماس لمستقبله شديد الايمان به ، وكان يعرف من هى ليلى مراد !!

ولقد كانت ليلى في تلك الأيام لا تزال تعانى من فشلها فى قصة حبها الأول ، رغم مرور عام ونصف عام على لقائها الأخير بذلك الحبيب الارستقراطى المجهول ، تعانى من قصة كانت تتردد فى الأوساط الفنية همسا ، ثم ترددت علنا ، وصلت إلى أذنيها ... قصة فنان كهل وفتاة صغيرة السن ... وكان هذا الكهل ، هو زكى مراد !!

فى تلك الأيام لم تكن ليلى تؤمن بالحب ، كان يعذبها أشد العذاب أن ينسى أبوها امرأة عاشت حياتها من أجله هى الست جميلة ، لكنها لم تفكر أبدا فى أن تفاتحه فى الأمر ، كان الرجل غارقا لشوشته فى قصة حبه الجديد ، يتشبث بآخر رمق تمنحه الحياة لقدرة الإنسان ، وكانت تعيش قصص الحب بخفة ، تلهو بها وتلعب ، فعلت ذلك يوم ودعت حبيبها الوداع الاخير ... فعلت ذلك يوم وجدت الملك فاروق يقف فى

شرفة غرفتها في عز الليل ، أثناء إحدى الغارات الجوية والظلام دامس ، فيقول لها أنه يريد أن تحتل قصة شاب مجهول مكان الصدارة في ذكريات ليلى مراد وفى عمرها ، وتمثل قصة علاقتها بالملك فاروق جانبا ثانويا يبدو في الحياة كالظل الباهت .

دخل أنور وجدى حياة ليلى مراد فصنع معها قصة من أشهر قصص الحب التى عرفتها مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ، ولقد كانت قصص الحب فى ذلك الزمان تملأ الآذان وأعمدة الجرائد والمجلات كانت قصصا عنيفة وصل بعضها إلى حد إطلاق الرصاص ومحاولات الانتحار ... وانتزع أنور ليلى من الفراغ الذى كانت تعيشه - رغم أنها كانت تلتقى بالملك فاروق كل يوم - ليملأ حياتها تماما ... ولتبدأ قصة من أغرب وأعذب قصص الحب فى ذلك الزمان .



الفصل الحادى عشر

مولانا عاوز يسمعك لوحدك



كانت تلك السنوات التى عاشتها ليلى مراد مع أنور وجدى، هى ذروة الحياة تماما ... وعندما التقت ليلى بأنور لأول مرة ، لم تكن هى غريبة عليه ، كان يعرفها تماما كواحدة من ألمع فتيات الشاشة فى تلك الايام ، إن لم تكن ألمعهن جميعا ، وأكثرهن شهرة .. ولم يكن هو غريبا عليها ، كانت تعرفه بالاسم فقط ، تسمع عنه حكاياته العصامية وكفاحه ودمه الخفيف وقدرته الفذة على اكتساب الأصدقاء ... ولم يكن من السهل أن تقع ليلى فى حب أنور وجدى بكل التركيبة النفسية التى صنعت منها شخصيتها ، كانت ليلى قد حققت كل أحلام الطفولة والصبا ، وكانت هذه الأحلام قد دانت لها الآن تماما ، وأصبحت ليلى تملك مالا يقيها الخوف من الفقر والمستقبل ، وحتى نهاية العمر ، وكانت العائلة قد استقرت وراح كل فرد فيها يبحث لنفسه عن طريق ، وكان زكى مراد قد قنع بالجلوس فى البيت ، ومعاقرة الخمر بين الحين والحين، وزيارة الأصدقاء ومغازلة الفتيات الصغيرات السن ... كل شئ - الآن - أصبح ملكا لها ... حتى الطبقة التى طالما

بهرتها منذ أيام الحرمان الأولى ، ووداع مدرسة نوتردام دى زابوتر، كانت هذه الطبقة قد دانت هى الأخرى لها ، ويوم طلب منها حبيبها الأول أن تتزوجه ، ويوم وافقت العائلة العريقة ذات الأرض والاسم والحسب والنسب ، ويوم رفضت ليلى أن تعتزل الغناء ، ورفضت بالتالى حبيبها ، ارتاحت من كل صراعات نفسها، كانت قد انتصرت وسكنت وهدأت ، ولم يعد أمامها إلا أن تهتم بالمستقبل والعمل !

هكذا كانت ليلى يوم التقت بأنور وجدى ، كانت قد أصبحت – أيضا – واحدة من شلة الملك فاروق المفضلة ، وكان الملك قد أصبح صديقها ، لم تقع فى حبه ، لأنها دائما كانت تعرف من يكون ومن تكون ، ولأن الحب لم يعد يبهرها ، لم يعد شيئا يخفق له قلبها وتلتهب من أجله عواطفها نوعا من التسلية ، وتدربت على ترويض الرجال أيا كانوا وأيا كانت أسماؤهم أو مراكزهم ، بل أصبح الحب ، لكثرة ما عرضت عليها القلوب ، شيئا يبعث على السأم !!

فمن هو أنور وجدى ؟

من هو هذا الشاب الذى استطاع أن يبعث بالحياة إلى أمواج القلب الراكدة من جديد .

من هو هذا الفنان - الصاعد وقتها - الذى صنع مع أشهر فيديت فى عصرها ، واحدة من أشهر قصص الحب التى عرفها هذا العصر .

قبل هذا وذاك .. متى جاءها أنور وجدى والتقى بها وأحبها ؟! ... متى ؟!

يوم جاءها أنور وجدى فى الاستوديو وهى جالسة فى غرفة الماكياج ، كانت هى فى عز علاقتها بالملك فاروق .. وكانت ليلى قد تعرفت بفاروق فى شهر من شهور الصيف بالاسكندرية ، حيث كان الشاطئ يموج بالأحداث السياسية والغرامية على السواء ... وكانت ليلى تنزل فندقا شهيرا يطل على البحر ، عندما دق باب غرفتها ذات مساء مدير الفندق اليونانى الأصل ، لينحنى أمامها فى احترام شديد ، ويخبرها أن رجلين من رجال السراى يريدان رؤيتها !

كانت هذه هى البداية التى لم تهز فى رأس ليلى شعرة واحدة، كانت تعلم من هو فاروق ، وكانت تعلم علاقات فاروق فى تلك الأيام أثناء الحرب العالمية الثانية ... وقد اجتاحتها الفرحة وقتئذ وهى تبدل ملابسها استعدادا للقاء رجلى القصر فى بهو الفندق ، وهبطت السلم إلى البهو فى بطء وهدوء لتلتقى بالدكتور يوسف رشاد وبوللى .. وكان الاثنان يطلبان

منها – باسم الملك – أن تحيى حفلا فى سراى رأس التين بعد بضعة أيام ..

ولقد رحبت ليلى ولم تكن لتستطيع إلا أن ترحب ، طلبت منهما تحديد الموعد حتى تستطيع أن تتفق مع الفرقة الموسيقية لكنهما قالا :

«بلاش فرقة ، مولانا عاوز يسمعك لوحدك» .

ولم تخف ليلى ، ولم ترتج .. ها هو ذا القدر يقودها إلى قمة المجتمع دون أن تبذل من أجل هذه القمة أى جهد ... وكان عليها أن تنتظر يومين حتى يأتيها الخبر بالتليفون :

«الحفلة حا تتعمل النهاردة يا مدموازيل ليلى :

«طيب .. آجى ازاى ؟»

«إحنا حانيجى ناخدك الساعة ثمانية!»

وفى الموعد تماما ، كانت ليلى قد ارتدت أغلى ما تملك من ملابس وجواهر ، كانت فى قمة بهائها وحسنها وهى تركب إحدى سيارات القصور الملكية ، فى طريقها الى قصر رأس التين «العامر» بالملك وحاشيته الذين كانوا فى مساء ذلك اليوم، فى انتظارها .

وعندما خطت ليلى داخل أسوار القصر الشاهقة لم تأخذ عينيها تحف ولا رياش ولا أبهة ... كان كل ما يعنيها أن ترى

الملك والملكة ... وفى تلك الأيام لم يكن الخـــلاف بين فـــاروق وفـريدة قـد بلغ هذا الحـد العلنى الذى تتـداوله الألسنة ... قادوها عبر الابهاء والممرات إلى قاعة فسيحة هائلة ، تتدلى من سقفها الثريات وتغطى أرضـها السجاجيد ... وكان الملك هناك ، لكن الملكة لم تكن هناك .

ووسط الجميع جلست ليلى ، جلست مرتبكة لا تدرى كيف تتـصـرف ولا مـاذا تقول وسط هـذه الابهـة ، وأمام أمـيرة من أجمل أميرات تلك العائلة المخيفة ، ولقد بهرت الأميرة فاطمة طوسون عينى ليلى فى تلك الليلة ، لكن الذى لوى عنقـها حقا ، كان أحمد حسنين باشا .

اسـتطاع أحـمـد حـسنين منذ اللحظة الأولى أن يبـدد الارتباك ويزيل التردد والاحجام ، كان رقيقا مثل جنتلمـان ، تقرب اليها ببساطة وبلا مبالغة ، تحدث معها عن أغنياتها وأغانيها حديث السميع المتتبع ، وعندما حـان الوقت ، طلب منها أن تغنى له أغنية: «يا ريتنى أنسى الحب يا ريت !» .

وغنت ليلى ، ومع الغناء استطاعت أن تعود إلى طبيعتها ، وأن ترتدى عينيها الفاحصتين من جديد ، انساب منها اللحن بلا موسيقى ، بلا فرقة ، وتردد صوتها فى أبهاء قصر رأس التين تردد الجدران الشامخة صداه ... وعندما انتهت الأغنية،

وهمست الأكف بذلك التصفيق الرقيق ، طلبها فاروق لتجلس بجواره .

وما أن جلست ليلى بجوار الملك ، وبدأت تحدثه ويحدثها ، حتى هوت كلمة «الملك» من حالق إلى الأرض ... هكذا وبلا مقدمات فلم يكن فيه من الملك إلا اللقب فقط ، وكان حديثهما يدور حول المال ، كان الملك يسألها أن كانت قد جمعت ثروة أم لا ... وكان يحضها على أن تجمع ثروة !!

فى تلك الليلة . طلب منها فاروق أن تغنى له أحد الأدوار القديمة فغنت ... غنت وغنت وقد زالت عنها كل رهبة ، وظلت ليلى تغنى فى تلك الليلة ، حتى الصباح ...

فى صباح اليوم التالى استيقظت ليلى من النوم وكأنها لم تذهب إلى السراى ، ولم تقابل الملك ولم تغن فى قصر رأس التين ... ولقد بدأ لها الأمر وهى فى القصر عاديا وبسيطا ومن الممكن حدوثه ... أما وقد عادت إلى غرفتها ، ونامت واستيقظت ، فلقد راحت تتساءل : أكان حلما أم حقيقة .

ولم يطل تردد ليلى ، فهى لم تغادر فراشها فى ذلك اليوم بطوله ، ظلت فى غرفتها لا تبرحها وهى تفكر فى كل ما حدث .. ومع المساء جاءتها نوال ، وجلست صديقة العمر بجوارها فوق الفراش تستمع لمغامرة الأمس غير مصدقة ، كانت ليلى

تحكى لنوال كل شئ ، كانت تحكى لها كيف لم يجذب فاروق نظرها ، وكيف لوى أحمد حسنين - ذلك الرجل المحنك - عنقها وفرش لها طريق الحديث ببساط أحمدى ... وعندما دقت صفارة الإنذار أطفأت الفتاتان النور وظلتا جالستين فى الظلام تحكيان وتضحكان ... كانت غرف الفندق الذى تنزل فيه تفتح جميعها على شرفة واسعة كبيرة ، وفى هذه الشرفة كان الظلام معتما ، وكانت نوال تكذب ليلى وتتهمها بتلفيق الحكاية عندما أضاء ظلام الغرفة نور توهج لثوان ثم انطفأ .

«إيه ده ؟!»

انتفضت ليلى - بقميص النوم - فزعة .. كانت تعلم أن للشرفة سلما يؤدى إلى بهو الفندق ... وعاد النور إلى التوهج مرة أخرى ... فصاحت ليلى وهى تقترب من الشرفة :

«مين ؟!»

فجاءها صوت فاروق عبر الظلام أجش يقول :

«أنا يا لا يلى !!»

وكادت ليلى تضحك عندما توهج النور للمرة الثالثة ليضئ وجه الملك ، ذلك أن فاروق كان ينطق اسمها بطريقة غريبة ، وانكمشت نوال فى مكانها لا تبرحه ، وهمست ليلى فى ترحاب:

«أفندم يا مولانا ؟!»

وكان الملك يدعوها لتلحق به فى الشرفة السفلى ، حيث كانت الشلة مجتمعة .. ووافقت ليلى ، ومضى الملك ... وبدلت ليلى ملابسها وهبطت لتجد يوسف رشاد وحرمه ، وأحمد حسنين ، والملك .

فى تلك الليلة ، غنت ليلى بصوت خافت عزفت لها أمواج البحر فى ظلام الليل وانساب صوتها مع السكون ... غنت ليلى فى تلك الليلة كما غنت فى ليال كثيرة أخرى ، وأصبح لقاؤها بالملك ، كل ليلة تقريبا ، برنامجا يوميا ... كانت تسهر معهم حتى مشارف الفجر ، وما أن تعود إلى غرفتها ، حتى يدق التليفون ، ويأتيها صوت أحمد حسنين عبر الأسلاك ، ليبدأ معها حديثا يستمر حتى مطلع النهار .

التقت ليلى بأنور وجدى وقد أصبح أحمد حسنين صديقا حميما ومنافسا خطيرا لفاروق ... التقت بهذا الشاب «الحرك» وقد خبت أحلامها فى الحب تماما وقد تحولت خبرتها مع الأيام إلى مخالب ، وأحلامها تحولت إلى واقع شديد الوضوح، فهل كان هذا كله ، تمهيدا لأن تقع ليلى - لأول مرة - فى حب واع ، واقعى؟!

كان أنور - حتى ذلك الوقت - يلعب الأدوار الثانية فى الأفلام، وكان قد تخصص فى أدوار الشاب الفاسد الشرير ، وقد كان من المحتمل أن تظل هذه الصفة لاصقة به إلى الأبد لولا طموحه هذا الذى دفعه إلى التفكير فى الانتاج ، ثم المغامرة بكل ما يملك لانتاج فيلم يخرجه كمال سليم .

وعندما جاء أنور وجدى لأول مرة لمقابلة ليلى وعرض عليها أن تلعب بطولة فيلمه الأول ، ظنت ليلى أن الأمر لا يعدو أن يكون محاولة من هذا الممثل الشاب ، جاء أنور ومضى ولم يترك فى ليلى أثرا ما ، ونسيت هى بعد أن مضى كل شئ . لكن الدهشة اجتاحتها عندما عاد إليها أنور بعد أربعة أيام ، وكانت قد سألته أن يعطيها مهلة للتفكير ، عاد أنور ليسألها عن قرارها النهائى ، والتفتت اليه ليلى قائلة :

«أستاذ أنور ... أنت جد فعلا فى موضوع الفيلم ده ؟!»

وانتبه أنور - فى الحال - إلى مخاوفها ، فصاح على الفور :

«مدموازيل ليلى ... أنا معايا شركاء؟» .

لم يكن يخفى عليه أن اسمه فى عالم الانتاج والمال ليس كبيرا ولا لامعاً ولا موثوقا به ، وكانت ليلى قد اخبرته أن أجرها خمسة عشر ألف جنيه ، وها هى تعود فتسأله :

«حاتدينى كام !» .

قال :

«اثنا عشر ألفا !»

نظرت إليه ليلى طويلا ، كان يتحدث فى حرارة ، قال لها: إنه وضع تحويشة العمر فى هذا الفيلم ، قال: إنه يغامر ليصنع لنفسه مستقبلا ، وأن شركاءه وافقوا على انتاج الفيلم بشرط أن تكون هى بطلته ، وأن يكون كمال سليم هو مخرجه ... استمعت إليه ليلى ، واستشعرت الصدق فى حديثه .

كانت كلماته مليئة بالإخلاص الشديد والحرارة ... وكان اسم الفيلم «ليلى بنت الفقراء» .

ووافقت ليلى .

كانت قصة الفيلم هى قصة كل فيلم مصرى فى تلك الأيام، الشاب الغنى الذى يقع فى حب فتاة فقيرة ، ثم تحول بينهما الحوائل الطبقية ، ثم ينتهى الصراع بمورفين اللقاء بين الحبيبين بعد أن يستدرا أكبر قدر من الدموع من عيون المتفرجين .

وافقت ليلى ووقعت العقد بعد يومين وتسلمت العربون ... كان أنور فى ذلك اليوم سعيدا مرحا ، رأته وهو يداعب عمال

الاستوديو والفنانين والفنيين ، كان من ذلك النوع الذى يعرف كيف يعامل الناس وكيف يكتسب حبهم وكيف يأكل عقولهم ... وكانت ليلى تنظر إليه باسمة ، هذا النوع جديد من الشباب لم تلتق به من قبل ، كان عمليا لا يتصنع ولا يحاور ولا يداور ... وعندما جاءها بعد يومين من توقيع العقد ، تهللت للقياه دون قصد: «أهلا استاذ أنور» .

لكن أنور لم يتهلل ، بدا حزينا مكفهر الملامح ... صافحها وجلس مهموما .

«خير يا استاذ أنور» .

كانت ليلى تجلس هذه المرة أيضا فى غرفة الماكياج ، وكان وجهها إلى المرآة تنظر إلى أنور من خلالها ، وكان أنور يجلس خلفها ، ينظر إليها هو الآخر فى المرآة يقطر وجهه بالألم ... أن كمال سليم – مخرج الفيلم – اشتد عليه المرض ، وأصبح من المتعذر أن يدخل الاستوديو قبل مرور بضعة أشهر.

كان كمال سليم فى الحقيقة يحتضر فى تلك الأيام ، وقالت ليلى ببساطة :

«نأجل تصوير الفيلم !» .

وانبعثت من عينى أنور نظرة غريبة ... نظرة يائسة تماما، كان «محتاساً» ، فلقد دفع عربونا للاستوديو وللممثلين والفنانين والفنيين ... وكاد أنور وجدى يبكى وهو يحكى لليلى كل شئ ، ازاح بيده كل ستار يفصله عنها ، كان لابد من دخول الاستوديو بأى ثمن ، وكان يريد أن يأخذ رأيها فى المخرج الذى ترتاح إليه.

فى تلك اللحظة ، حدث شئ غريب ... وبالرغم من مرور السنوات والأيام ، فإن ليلى مراد لم تستطع حتى الآن أن تفسر ذلك الاحساس الغامر بالعطف الذى اجتاح مشاعرها تماما نحوه، التفتت اليه ، واجهته وراحت تدقق النظر فى شعره الفاحم ، فى ملامحه الدمشقية الوسيمة ، وبياض بشرته الشديد ، وشحوبه ، وهمومه ... وتذكرت قصص عذابه وكفاحه التى سمعت عنها الكثير قبل أن تراه ، وفى توسل قال أنور :

«دبرينى .. أعمل إيه ؟!»

ووجدت ليلى نفسها تصيح فيه :

«قول لى يا استاذ أنور ... أنت ما تقدرش تخرج الفيلم ده؟!»

كانت جملة عفوية ، غير مقصودة ، أصدرتها الطبيعة الخفية فى نفس الانسان ... لم تقصدها ليلى أو قصدتها فالأمر سيان لانها لم تعرف كيف خرجت منها وكيف فاهت بها وكيف وضعت اسمها وفنها بين يدى ممثل للأدوار الثانية ... ولقد كانت هذه الجملة بالذات ، هى بداية الطريق إلى حياة أخرى ، تختلف تماما عن كل ما مر بليلى ، وقصة أخرى ... قصة تساوى عمرا بأكمله .



الفصل الثانى عشر

يارب تتزوجنى يا ليلى



أبدا .. لم تكن ليلى مراد تفكر فى الحب فى تلك الأيام ، وحتى لو طرق الحب قلبها ، فلم يكن يخطر على بالها ، أو تقبل، أن يكون الحبيب فنانا !

كانت صورة الفنان فى ذهنها متمثلة فى رجل واحد ، هو زكى مراد ... وكان زكى مراد – كما عرفته ليلى – رجلا لا يوقفه شئ ولا يردعه شئ . رجلا عذب امرأته مثلما لم تتعذب امرأة لفرط ما كانت الست جميلة تغار عليه ، ولفرط احساسه هو بالمرأة ... و ... وفى تلك الأيام التى إلتقت فيها ليلى مراد بأنور وجدى ، كانت الست جميلة قد ماتت منذ زمن ليس بالطويل ، وكانت حكاية حب جديدة لزكى مراد قد طرقت أذنيها . كان الرجل الكهل يودع فحولته غارقا لشوشته فى حب تلك الفتاة الصغيرة التى سمعت عنها ليلى كثيرا ، لكنها لم ترها أبدا ، وإذا كانت ليلى تستطيع فى تلك الأيام أن تفاتح أباها فى الأمر ، فإنها أنها لم تفعل ، كتمت كل ما تعرفه فى نفسها وهى تتساءل : كيف يستطيع الإنسان أن ينسى شريكة العمر بمثل هذه السهولة ؟!

كانت ليلى رومانتيكية الحس ، تحيا فى عالمها الخاص ذى الألوان الزاهية ، تجربتها الوحيدة فى الحب ، حبيب يعرف كيف يغازل وكيف يحب ، وكيف يصب فى الأذن ألفاظا مثل عسل مركز!

ورغم إن أنور وجدى كان شابا وسيما خفيف الظل ترتمى تحت قدميه عشرات الفتيات ، ورغم أنه كان نجما من نجوم السينما المحبوبين ، فإن هذا لم يلفت نظر ليلى إليه ، كان الذى لفت نظرها إليه حقا ، إنه «شغيل» !!

وكل الذين عرفوا أنور وجدى ، وكل الذين عاصروه وصادقوه ، كانوا يعرفون عنه تلك الطاقة المذهلة التى لا تخف ولا تكل حتى فى أشد أوقاته مرضا وعذابا ... وهكذا كان أنور مع ليلى ، عمليا، سريع الحركة ، سريع الخاطر ... ولم تكن ليلى بلهاء يوم عرضت عليه أن يقوم هو باخراج فيلم «ليلى بنت الفقراء» . فلقد أيقنت عندما جاءها بخبر اشتداد المرض على كمال سليم ، أيقنت من حركاته ، من حديثه ، من لهفته الشديدة ان ثمة شيئا يهدف إليه ... ولقد كان أنور وجدى مكشوفا للذين عرفوه . كان واضحا مثل كتاب مفتوح ، وكان أيضا طيب القلب يستطيع أن يجمع حوله كل الناس على اختلاف مشاربهم وطبائعهم ... وحتى تلك اللحظة ، لم تكن

ليلى ترى فى أنور سوى ذلك الجانب الشديد الطيبة فيه ، وعندما قالت له «ليه ما تخرجشى أنت الفيلم ده!» ، ذهل أنور، ظل للحظات غير مصدق أن ما كان يهدف إليه ، وما كان يستعد لخوض معركة من أجله سوف تحققه ليلى بمثل هذه السرعة ... صاح :

«انتى بتقولى إيه ؟»

«ليه ما تخرجشى الفيلم أنت يا أستاذ أنور ؟!»

«أنا ؟!» .

«أيوه أنت ، ليه لأ ؟!»

راح أنور يدور حول نفسه يخبط كفا بكف ...

«أنا أخرج ... وانتى ... انتى تقبلى ؟» .

«ليه لأ ... أنت فنان ، ولك خبرة فى المسرح والسينما ، والمخرج لازم يكون ممثل أولا ، الإخراج إحساس ... مش كده والا إيه ؟!» .

«بس إنتى تقبلى !»

«أنا قبلت آهه . أنا اللى بقول !»

صاح أنور :

«باب السما انفتح !»

وقالت ليلى :

«اتوكل على الله !» .

وطار أنور وجدى من الفرح ، كان الحوار بينهما كالحوار بين قط وفأر ، ومثلما كان أنور وجدى يمثل فى أفلامه التى اشتهر بها كان يعيش حياته ، كان يكفى أن ينظر إلى الإنسان ، أى إنسان ، تلك النظرة المتلهفة ، المتمسكنة ، المستضعفة ، حتى ينهار هذا الإنسان ويلبى لأنور كل طلباته ... ولقد كان شركاء أنور فى فيلمه الأول رجل أعمال معروف ، وامرأة ثرية ... وعندما قالت ليلى ما قالت ، طار أنور إلى شريكيه يزف إليهما الخبر ... ولم يصدق رجل الأعمال ، فرفع سماعة التليفون وطلب ليلى :

«إيه الحكاية ... صحيح انتى وافقتى على أن أنور يخرج الفيلم!»

بذكاء شديد ردت عليه ليلى :

«أنا اللى طلبت منه كده !» .

وبهذه المحادثة الصغيرة ، استطاعت ليلى أن تقدم لأنور خدمة عظيمة فى حياته الفنية ... ذلك أن كل رأس مال أنور وجدى الذى وضعه فى هذا الفيلم كان ثمانية آلاف جنيه ، وفى

تلك الأيام التى وصل فيها الإنتاج السينمائى المصرى إلى ذروته ، وارتفعت فيها أجور النجوم والفنانين إلى مستويات خرافية ، كان هذا المبلغ لا يساوى شيئا فى ميزانية الفيلم ، وكيف يساوى وأجر ليلى - وحدها - وصل إلى اثنى عشر ألف جنيه ؟!

بعد بضعة أيام ، دخلت ليلى مراد استوديو مصر مرة ثانية لتصور الفيلم .

فى اليوم الأول للتصوير جاءوا بخروف - كما كانت العادة فى تلك الأيام - وذبحوه ، ووزعوا لحمه على العمال ... غير أن شيئا آخر لفت نظر ليلى ، ولوى عنقها تماما ... كان هذا الشئ ، هو علاقة أنور وجدى بعمال الاستوديو ، بالفنانين ، بالفنيين ، ويكاد الأمر يصل إلى علاقته بحجر الاستوديو وأرضه !.

منذ اللحظة الأولى كان الحماس مشتعلا من الجميع ، حماس كان مبعثه الوحيد تلك الروح التى سيطرت على الجميع ... كان أنور فى بداية الفيلم قلقا شديد القلق ، لكنه رغم القلق لم يتخل أبدا عن مرحه ، وحبه للجميع وهذره وصوته العالى وعصبيته وقلة أدبه .

وراحت ليلى ترقبه من بعيد ، قلبها مغلق ولا سبيل إلى فتحه خاصة إذا كان من أصبح يشاغل القلب فنانا ... أحداث الفيلم خفيفة الظل ، وقصة الحب تنسج خيوطها على مهل بين الفتاة الفقيرة والشاب الغنى ... ولو كان هذا الفيلم قد صور قبل خمس سنوات لاختلف إحساس ليلى دون شك . لكنها الآن لم تعد فقيرة، كانت واثقة بنفسها وغنية ... وفى الأيام الأولى كانت ليلى هى الأخرى مرتبكة ، كانت تشعر أنها السبب فى نهاية الأمر ، فهى التى شجعته ، غير أن حيوية أنور امتصتها تماما فنسيت قلقها وارتباكها ، كانت المشاهد الأولى لحارة فى حى السيدة زينب . وكانت الحارة التى بنيت فى الاستوديو مزدحمة بعشرات الكومبارس ، واستطاع أنور أن يسيطر على المجاميع بسهولة ، بالنكتة أحيانا وبالقذف والسب أحيانا ... مضت الأيام وكان يوم تعطلت فيه سيارة ليلى فجاءت إلى الاستوديو فى تاكسى .

وفى تلك الأيام كانت السيارة شيئا عزيزا وثمينا ، والذين يملكون السيارات قلة من القادرين ، وانتهى التصوير يومها فى التاسعة والنصف مساء ، وأرسلت ليلى من يستدعى لها «تاكسى» يوصلها إلى مصر الجديدة ، وصاح أنور :

«تاكسى ده إيه ؟ .. حاتروحى لوحدك ؟!»

«ودى فيها إيه ؟»

«لا يا ستى ، أنا آسف ، الدنيا ليل ، انتى حاتروحى معايا، أنا حاوصلك !»

لم يكن أنور يرجو ؛ لم يكن يعرض الأمر برقة ، كان مقتحما واثقا هو الآخر بنفسه ... لكن ليلى ترددت ، كان خروج الفتاة - فى تلك الأيام أيضا - مع شاب فى سيارته ، حتى ولو كان الهدف أن يوصلها إلى البيت ، حدثا لاشك فيه ... لكن أنور لم يعر تردد ليلى أى اهتمام ، صاح بالماكيير وعزيزة مراد أن يركبا فى «شنطة» السيارة الخلفية ، كانت سيارة أنور من مقعدين فقط ، وفى الحقيبة الخلفية كان ثمة مقعدان آخران ركب فيهما ميتشو الماكيير ، وعزيزة اللبيسة ، التى أطلقت على نفسها اسم عزيزة مراد لفرط حبها الليلى ، ووجدت ليلى نفسها تركب بجوار أنور فى شارع الهرم ، كان هو متدفقا كعادته لا يكف عن المزاح أو الحديث ... وكان كل الحديث يدور حول الفيلم .

فى ميدان الجيزة غادرت عزيزة مع ميتشو السيارة ، وانطلق أنور بليلى صوب مصر الجديدة ، طوال الطريق كانا

يتحدثان عن الفيلم ، عن الأحداث ، عن الشخصيات ... كان أنور يبدو ممتصا حتى آخر قطرة فى دمه ... ودخلت السيارة طريق مصر الجديدة ، وخفت حدة المرور والحركة ، وكان الليل جميلا ، والأشجار تصنع مع الجو لوحة أخاذة ... وفجأة ، صمت أنور . كف عن الحديث .

ولا تدرى ليلى لماذا اضطربت فى تلك اللحظة ذلك أن صمت أنور لم يكن شيئا عاديا ، كان صمتا يحمل نذر رائحة جديدة ، وحياة جديدة ... همست ليلى :

«مالك .. سكت ليه ؟»

وصاح أنور :

«ياسلام لو العربية دى فضلت ماشية بينا على طول ... لحد آخر الدنيا !»

قال هذا وإلتفت إليها ، فضحكت .

ضحكت ليلى وهى تشعر بالارتباك لأول مرة منذ زمن طويل ، ها هو ذا أنور يبدأ الغزل ولكن بأسلوب مختلف . فهل تتركه ؟!

«ياريت ... الواحد فعلا بيحتاج يرتاح بعد الشغل !» .

وضغط أنور على مفتاح البنزين فانطلقت السيارة لكى

تجاوز البيت وتصعد إلى طريق المآظة ، كان الهدوء عميقا ، وصوت السيارة يئز فى جوف الليل ، وأنوارها تكشف الطريق الخالى من البيوت ، وقال كل منهما كلمة ، وتناثرت منهما الكلمات بلا هدف، كانت تذوب فى تلك السحابة التى ظللتهما فجأة ، وفى حنان ... همست ليلى :

«مش نرجع بقى ؟!»

فالتفت إليها أنور وقال :

«ياسلام يا ليلى لو اتجوزتك وعشت معاكى على طول ؟!»

وصعقت ليلى ، فما هكذا يكون الغزل ، وعندما وقعت فى الحب لأول مرة لم يفاتحها حبيبها فى الزواج إلا بعد ثلاث سنوات ، إن للحب أصولا ، وللغزل قواعد ... ولابد أن يكون أنور وجدى هذا مجنونا ... لابد .

أبدا لم يغازلها أنور من قبل ، أبدا لم يقل لها كلمة توحى بأنه يحب ، طوال اليوم فى الاستوديو وطوال الأيام الماضية لم يبد منه شئ ينم حتى عن الذوق ... إنه لم يمتدح تسريحة شعرها مرة، ولا لفت نظره فستان جديد ، ولا توقف أمام جمال الوجه ... ثم يأتى ليتمنى الزواج منها فورا . وبلا مقدمات !

«ياه ... مرة واحدة كده ؟!»

كانت تسخر منه ، كانت فى دهشة من أمره ، كانت مرتبكة ...

«وفيها إيه ... أهو ساعات ربنا يستجيب دعا الواحد !»

قال هذا فى صوت خافت رقيق ، ثم انفجر فجأة تاركا عجلة القيادة ، رافعا يديه إلى السماء ، صائحا بأعلى صوته :

«يارب ... تتجوزينى يا ليلى !»

قال هذا فانفجرت ليلى ضاحكة ، لم تملك إلا أن تضحك ، ولم تملك إلا أن تستشعر - وفى لذة شديدة - خفقات قلبها من جديد ... ها هو غاز يقتحمه بلا استئذان ، وها هما يضحكان سويا ، لكن كل منهما كان موقنا - رغم النكتة - أن الحديث كان جادا .

وقد كان .

●●●

الفصل الثالث عشر

أحمد سالم يظهر فى الصورة



ما أن مضت بضعة أيام ، حتى كانت قصة الحب بين أنور وجدى وليلى مراد قد أصبحت حديث الوسط الفنى كله . وإذا كان أنور وجدى مكشوف الإحساس عارى العاطفة انفعاليا وصديقا للجميع ، فلقد كان من الطبيعى جدا أن يلحظ الجميع- جميع من فى الاستديو من فنانين وفنيين وعمال - أن ثمة قصة تنمو بين بطلى الفيلم الشابين ... كانت ليلى قد تركت نفسها للعواطف بحرص ، لكنها كانت تحسب الحكاية بدقة شديدة ... أغضبها دون شك أن أنور فاتحها فى الزواج مباشرة ، دون مقدمات ، دون غزل، دون نظرة ، لكن أنور ، ومنذ صباح اليوم التالى ، بدأ يغازل ليلى ، وكان أول شئ فعله ، أن أرسل إلى غرفتها فى الاستديو ، باقة رقيقة من الورود ، فى اليوم التالى مباشرة تبدل أنور وجدى ، أصبح إنسانا آخر ، أصبح رقيقا هادئا ، فقد عصبيته ، ازداد مرحه، واتسع صدره للأخطاء ... ومنذ الأمس وليلى تفكر فى الموضوع ، عندما عادت إلى البيت دخلت غرفتها وجاءتها

خالتها مريم بالعشاء فى غرفة النوم ، أكلت ليلى وهى تفكر ، دخلت تحت الأغطية وهى تفكر ، نامت وراحت تفكر .

كيف تصبح الحياة مع فنان ؟!

هل تعيد مأساة أمها ؟!

وفى الصباح ، وعندما دخلت غرفتها فى الاستديو ، وجدت باقة الورد ، وكانت عزيزة مراد - اللبيسة - فى انتظارها ... وعندما كانت ليلى تبدل ملابسها وتستعد للوقوف أمام الكاميرا أخبرت عزيزة بكل شئ ... لقد تعودت فى البيت أن تصدر قرارا لا أن تأخذ رأيا ، كنت ليلى هى ربة البيت ، الحكيمة ... وهى الآن تملك من المال ما يكفيها ويقى العائلة فى المستقبل بعد أن أدت دورها ، وإذا كان الفن مهما لحياتها فإن أنور لن يمنعها من الغناء والتمثيل ، لن يطالبها بالاعتزال كما فعل حبيبها السابق ... وراحت عزيزة تصب فى أذنيها كلمات التشجيع ... وفى البلاتوه بدأت قصة الحب تأخذ شكلا عمليا ، راح كل منهما يتابع العمل في دأب وحماس ، وامتد حماسهما إلى كل من فى البلاتوه، أصبحا يعملان في اليوم ست عشرة ساعة ... ينتهيان من التصوير ليشاهدا المشاهد التى صورت بالأمس فى صالة العرض بالاستديو ، ويتناقشان، ويتناقش معهما الجميع ... ثم يذهبان إلى قاعة

التسجيل لأداء بروفة على أغنية أو سماع لحن يوضع ... تحولا إلى نحلتين فتحول الاستديو كله إلى خلية لا تكف عن العمل ... فى كل صباح يرسل لها أنور باقة الورود إلى غرفتها ، وفى كل يوم أصبحت بينهما خناقات صامتة ، ذلك أن أنور كان من النوع «البلاف» ، كان يستطيع أن يأخذ من الراقصة أو الفنانة أقصى ما يمكن أثناء العمل ، حتى ولو كان الثمن كلمة غزل ، أو فرصة لا تخفى على عين ليلى الساهرة ، وإذا كان أنور فنانا ، فهو أيضا «شاطر» ، ومن الممكن أن تصبح الحياة معه جميلة .

بالمنطق وحده أقبلت ليلى على حبها الجديد ، أعلنت الأمر فى كل حركة وأصبحت تعامله كخطيبها ... ذهبت إلى البيت ذات يوم وأخبرت أباها بالأمر كله ، ورحب زكى مراد ، وزار معها الاستديو فى اليوم التالى ... لم يكن هناك وقت للخروج أو الفسح فلقد كان الفيلم يأخذ كل وقتها ، وعندما زارها أنور ذات يوم فى البيت ، تم الأمر ببساطة شديدة - دون كلام أو أخذ ورد - وعومل فى البيت على أنه خطيب ليلى ، وفى دقائق كان أنور يستولى على إبراهيم ومنير بالذات ، لحس عقل الأب بنكته وضحكه وخفة حركته ... لكنه أحب منير وإبراهيم حبا شديدا ، فأحباه هما أيضا ، وأخلصا له تماما ... ذات يوم

دعتها إحدى صديقاتها على فرح الخادمة ... كانت خادمة الصديقة قد تزوجت فأقامت لها السيدة فرحا عظيما فى السيدة زينب ، وذهبت ليلى مع أنور إلى بيت الفرح ، وتجمع حولهما الناس ، وانطلق أنور فى مداعبة السيدات والرجال على السواء ، كان المعازيم يجلسون فى الدور الأول ، بينما الفرح مقام فوق السطوح . .

وسمعت ليلى دقات العوالم فانقادت لها صعدت إلى السطوح ، واشتد فرح الناس وتزاحموا ليشاهدوها ... ثم غنت ليلى ، غنت على موسيقى العوالم ، ولما كان المفروض أنها تعيش الآن قصة حب ، فلقد انطلقت تغنى وتغنى حتى مطلع الفجر .

وقبل أن ينتهى تصوير الفيلم ، كانا قد تزوجا .

ولقد أحدث زواج ليلى من أنور وجدى فى تلك الأيام ضجة شديدة فى مصر ... رحبت به الصحف ونسجت حوله الحكايات كان أنور فتى وسيما خفيف الظل ، وكان محبوبا ، أما ليلى فكانت قد تحولت مع الأيام إلى نموذج لفتاة الأحلام لشباب مصر ، كانت دائما تمثل دور الفتاة الطيبة المرحة التى تغنى دائما وفى تلك السنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية كانت مصر تغلى ، كانت أحداث كوبرى عباس تلهب الوجدان

الشـــعـــبى ، والمظاهرات لا تكف والصـــراع الاجـــتـــمـــاعى والسياسى يأخذ شكلا جادا ، كان الإحساس بالقهر عاتيا فى صـدور الناس ، وعندما عرض فـيلم «ليلى بنت الفقـراء» نجح نجاحا شديدا ، كانت قصة الفيلم تحكى حكاية حب بين فتاة فقيرة تسكن فى حي السيدة زينب ، وضابط غنى ارستقراطى والعقبات الاجتماعية والطبقية التى تقف فى طريق حبهما ، تلك العقبات التى ينتصر الحب عليها فى النهاية ... ومع قصة الحب بين ليلى وأنور وكل ما نسج حولها من قصص وأخبار ، ازدحمت الناس على دور السينما ...

وعلى الفور ، جلس أنور لينتج فيلما آخر ، لم يكن مترددا هذه المرة ، كـان قد أصبح أكثر ثقة بنفسه ، واختـار للفيلم الثانى نفس القصة ، فقط صنع البطل صحفيا فقيرا ، والبطلة ليلى بنت الأغنيـاء» ... وكـان هذا هو عنوان الفـيلم الثـانى ، الذى نجح أيضـا، لكن نجاحه لم يكن مثل نجاح الفيلم الأول .

ما أن مضت شـهور حتى بدأت الخلافات بين أنور وليلى ، لكنها لم تكن خلافات عاطفية .،. ذلك أن الحقيقة واضحة كل الوضوح ، هى أن كلا منهما قد اقتنع تماما بالآخر ، وبجدوى حياتهما معا ، غير أن أنور كان اعصارا فى معاملته المادية ، لم يكن بخيلا أبدا ، لكنه كان تاجرا ، وعندما أراد أن يعطيها

أجرا قليلا تشاجرا معا ... وقد كان هذا محتملا ، فقد كانا يسافران إلى أوربا ويشترى أنور لليلى فساتين بألوف الجنيهات ، كان خلافهما هذا محتملا ، لكنه لم يكن كذلك إذا ما جاء لليلى عرض من منتج آخر . هنا كانت الحياة تتحول إلى جحيم .

إلى أن كان يوم جاءها فيه أحمد سالم ليعرض عليها بطولة فيلم «الماضى المجهول» .

عند أحمد سالم ، لابد لنا من وقفة ، ذلك أن أحمد سالم كان – عندما جاء إلى ليلى – خارجا من السجن بعد فضيحة دوت فى مصر وكتبت عنها الصحف شهورا طويلة ، كان أحمد سالم متهما فى القضية التى عرفت باسم قضية «الخوذات المزيفة» ... حقا كان أحمد «ابن ذوات ، جنتلمان ، طموح ، مغامر ، شاب ، أنيق ، وسيم» . غير أنه فوق كل هذا كان مديرا لاستوديو مصر لسنوات تعرف فيها على السينما كفن وكصناعة ، ولقد كان من الممكن أن ينزوى أحمد سالم بعد خروجه من السجن ، فلقد كان هذا هو العرف السائد خاصة إذا كانت الفضيحة فضيحة حول الرشوة والغش ... لكنه خرج من السجن ليواجه كل الناس في تحد ، خرج من السجن وقد قرر أن يتحول إلى منتج ومخرج ومؤلف وممثل .

وصنعت هذه الخطوة حول ذلك الشاب الجسور حالة فرسانية، كان يبدو مغامرا ، كما بدا فى تلك الليلة التى التقى فيها بأنور وجدى وليلى مراد فى الاسكندرية .

كانا يجلسان وسط شلة من الاصدقاء في حديقة الفندق الذى ينزلان به ، وكان الوقت ليلا عندما هبط عليهما أحمد سالم فرحبا به ، جلس أحمد مع الشلة ، وهو يعرفهم جميعا ، لكنه بعد لحظات، أستأذن أنور فى الجلوس مع ليلى لدقائق ... حمل مقعده ودار به حول المائدة حتى وضعه بجوار ليلى وجلس ، مال عليها وراح يتحدث ... كان واضحا من صوته الخافت أن ثمة أمرا مهما يتحدث فيه ، راح أنور يتبادل الحديث مع الشلة لكنه كان يغلى بالضيق ... كانت ليلى تشعر بهذا ، لكن أحمد سالم كان غارقا فى حماسه ، لقد قرر أن ينتج فيلما يلعب بطولته أمامها ، حكى لها قصة الفيلم الأمريكى «الأسير» وكيف مصرها ... أعلن منذ اللحظة الأولى أنه مصمم على إنتاج فيلم كبير وناجح ... وطلبت ليلى مهلة للتفكير ، فتواعدا على اللقاء فى القاهرة ...

عندما علم أنور وجدى بتفاصيل الحكاية ثار ، راح يتهم أحمد سالم بشتى التهم ،وكيف تثق ليلى برجل خرج من

السجن منذ أسابيع قليلة ، ومن أين له بالمال ، وما الذى يعرفه عن الإخراج ؟!

وتبادلت ليلى مع أنور الكلمات لكن أحدهما لم يبت فى الأمر وعندما عادا إلى القاهرة اتصل بها أحمد سالم ، واتفق معها على أن يزورها فى الأيموبيليا حيث كانا يقيمان ، كان الموعد فى العاشرة صباحا ، فى يوم الأحد .

وما أن وصل أحمد سالم في الموعد بالضبط ، حتى كان أنور يغلى كالبركان .

بدأ أحمد سالم يحكى قصة الفيلم بالتفصيل . وتحت ستار المناقشة راح أنور يسفه من القصة والأحداث ، لكن القصة فى النهاية كانت جميلة ، وكان أحمد سالم ذكيا ، مناورا ... وليس هناك أدنى شك فى أن ذكاء أحمد سالم كان سببا فى انتصاره ، ذلك أن مناقشة أنور له أخذت تتحول من الحدة إلى الاستفزاز . وكانت فرصة أنور ساعة الحديث عن المال .

«أنت عارف ليلى بتاخد كام ؟!»

هكذا صاح أنور ، ولم يعط الفرصة لأحمد سالم لكى ينطق حرفا ، لاحقه صائحا :

«ليلى بتاخد خمستاشر ألف جنيه ، معاك خمستاشر ألف؟!»

ولم يهزم أحمد سالم ، لم يستفز ، أخذ يناقش الأجر كأى رجل أعمال شديد الثقة بنفسه ، كان هذا الشاب الذى أتهم بالسرقة فى قضية شهيرة ، الذى غادر السجن منذ أسابيع فقط يتحدث وكأنه يملك الألوف تحت يده ... واستشاط أنور غضبا .

«طب وحاتجيب الفلوس منين ؟!»

«أنا حر يا أنور !»

«طب ادفع ٨ آلاف مقدم !»

«لا حادفع ستة ... دلوقت !»

ولم يكن من الممكن أن يصدق أحد أن أحمد سالم يستطيع الآن أن يدفع ستة آلاف جنيه ، كان اليوم يوم أحد وكل البنوك مغلقة، كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة صباحا ، وكان أنور وجدى يقف أمام أحمد سالم فى غرفة المكتبة بشقته فى الأيموبيليا ، وكانت ليلى جالسة تبدو شديدة السعادة ، وكيف لا واثنان من أشهر شبان مصر يتبارزان من أجلها ، وكان التحدى بينهما قد وصل إلى أن

أبدى أحمد سالم أن يتغيب ساعة، ويعود بالمال ... وفعلا ، غادر البيت على موعد بعد ساعة .

لم يجرؤ أنور وجدى على مطالبة ليلى برفض الفيلم . لكنه كان يتحداها بأن أحمد سالم لن يستطيع الاتيان بالمال ، وتظاهرت ليلى باللامبالاة ، كانت تعرف عن يقين أن أحمد سالم سوف يكسب المعركة ، ان فيه شيئا يؤهله للانتصار ... وعندما دق جرس الباب في تمام الساعة الثانية عشرة أيقنت أن القادم سيكون أحمد سالم ، ودخل أحمد إلى غرفة المكتب يحمل عقدا ويصحب شريكا وسكرتيرا ... بعد ثوان أخرج أحمد من جيبه ستة آلاف جنيه قدمها إلى ليلى ، ثم قدم لها العقد لتوقع عليه .

أمسكت ليلى بالقلم ووقعت ، ثم طارت المائدة الصغيرة فى الهواء لترتطم بالحائط ... فجأة هاج أنور ، وتطايرت قطع الأثاث، ووضع أحمد سالم العقد فى جيبه بهدوء ، وغادر البيت.

ما أن بدأت المعركة حتى دخلت ليلى غرفتها وأغلقتها على نفسها ، خفت الضوضاء وكف صياح أنور ثم ساد الهدوء ... وعندما فتحت ليلى باب غرفتها كان البيت خاليا ... كان أحمد سالم قد غادره ... وكذلك أنور وجدى .

●●●

الفصل الرابع عشر

الطـــلاق



كان أنور وجدى شخصية متعددة الجوانب، كان فنانا بكل ماتحمل الكلمة من معنى. كان طيب القلب إلى حد العبط، وكان عصبيا إلى درجة الجنون، وكان ـ الآن ـ قد أصبح نجما لامعا، ومنتجا ناجحا ذكيا، ومخرجا يعرف كيف يحرك البلاتوه بكل ما فيه من آلات وفنانين وفنيين، وكان ـ أيضا ـ قد أصبح مريضا بالكلى، مرضا كان يزيد من عصبيته يوما بعد يوم حتى أصبحت هذه العصبية جزءا لايتجزأ من شخصيته المرحة!!

ولقد يبدو الحديث عن أنور وجدى ـ بعيدا عن ليلى مراد ـ غريبا ونحن نحكى قصة حياتها هى... لكن ذلك يبدو ضروريا، بل لازما... ذلك أن تصرفات ليلى تجاه عصبية أنور، وتصرفاتها حيال هذه الشخصية الغريبة التى كانت ذات يوم واحدة من ألمع نجوم الفن فى مصر، تصرفات ليلى تجاه أنور ومع أنور وأثناء حياتها مع أنور، هى أكبر المؤشرات على الإطلاق إلى طبيعة هذه الفنانة التى تربعت فى تلك الأيام على عرش السينما والأغانى الخفيفة.

ويوم خرج أنور من شقته بالأيموبيليا بعد معركته مع أحمد سالم، وقفت ليلى وسط حطام الأشياء التى وصلت إليها يد أنور عندما انتبابته تلك الثورة الجامحة، وقفت حائرة لاتدرى ماذا تفعل... كانت قد وقعت العقد مع أحمد سالم، وتسلمت عربونا قدره ستة آلاف جنيه نقدا، كانت قد نفذت ما أرادت دون خناق أو زعيق أو عصبية، كانت قد نفذت كل ما أرادته بالصمت والهدوء، وحنى الرأس لكل العواصف.

ولكن...

ولكن هاهو أنور وجدى يغادر البيت لا تعرف إلى أين، فماذا تفعل؟!

كانت ليلى دون شك تعلم علم اليقين الأسباب الخفية وراء تلك الثورة التى اجتاحت أنور، كانت تعلم أن هناك سببين رئيسيين لا سببا واحدا، وإذا كانت «الغيرة» هى العنصر الذى يجمع السببين معا، فإنها كانت غيرة مزدوجة، غيرة من الشاب الأنيق المغامر الذى دخل المبارزة مع أنور وانتصر، وغيرة أنور، لأن أحمد سالم كان يبدو شديد الثقة بنفسه، شديد الثقة بأنه سوف يخرج فيلما ممتازا وناجحا.

بعد ساعات أمسكت ليلى بسماعة التليفون وطلبت أم أنور... وعلى الطرف الآخر جاءها صوت حماتها منزعجا أشد

الانزعاج، إن أنور فى حالة هياج حقيقية، إنه غاضب أشد الغضب، ثائر ثورة عارمة ولا سبيل إطلاقا إلا أن تعتذر ليلى عن فيلم أحمد سالم، أن ترفض العمل فى هذا الفيلم.

الثابت أن ليلى كانت مصممة على أن تنال حريتها فى العمل أيا كانت العقبات، ولقد كان من الأسباب التى دفعتها إلى الزواج من أنور أنه فنان سيقدر حياتها كفنانة، ولكن... هاهو الفنان يركب رأسه ويغيب عن بيته يوما ويومين وثلاثة وأسبوعا كاملا... وبدأ الأصدقاء يتحدثون فى الموضوع، وبدأت الآراء تتناثر ذات اليمين وذات اليسار كانت ليلى تقول: «أنا مضيت العقد، أعمل إيه؟!»... وكان أحمد سالم يقول، إذا مافاتحه أحد فى الموضوع: «أنا لايمكن أتنازل عن حقى!».

وبدأت المسألة تزداد تعقيدا، إن أنور لايزال راكبا رأسه. مصمما على عدم العودة إلى البيت إلا إذا فسخت ليلى العقد... ولم تجد ليلى أمامها سوى أن تذهب إلى أنور بنفسها، قررت ـ تحت ضغط الأصدقاء والصديقات، أن تذهب إليه فى بيت والدته، لكنها ما أن دخلت البيت، وجلست مع أمه حتى فوجئت أنه يرفض مقابلتها.

كان أنور موجودا فى البيت، كان يجلس فى إحدى الغرف، وكانت ليلى جالسة فى الصالون وهو يرفض الخروج إليها...

كانت أمه تنقل إليها إنه تعبان جدا، أنه فى حالة سيئة، وكانت ليلى تطلب ـ فقط ـ أن تناقشه فى الأمر، أن تطلب نصيحته، كيف تتصرف وماذا تفعل!!

وقامت الأم بدور الرسول بينهما، كانت تسمع من ليلى فتنهض إلى أنور، وتسمع من أنور وتعود إلى ليلى... وكان هذا كله غير مهم، لكن المهم فى الموضوع كله، أن ليلى سمعت فى ذلك اليوم القريب، ولأول مرة فى حياتها مع أنور وجدى، كلمة: «الطلاق»!... كان أنور قد اشتط فى غضبه وأعلن، أنه: إما الإعتذار عن تمثيل فيلم «الماضى المجهول» مع أحمد سالم، وإما الطلاق.

وغادرت ليلى بيت حماتها وهى ترتجف، ذهبت إلى شقيقها الأكبر مراد، وسمع مراد كل شىء منها، ورفع سماعة التليفون وطلب أحمد سالم، وشرح له الموقف كله، فكان رد أحمد سالم أن حدد موعدا لليلى لكى تلتقى فيه مع محمد فوزى ـ الذى كان مطربا مشهورا وملحنا شديد النجاح فى تلك الأيام بعد ظهوره مع يوسف وهبى فى فيلم «سيف الجلاد» ـ لكى تحفظ منه إحدى أغانى الفيلم.

كان أحمد سالم ـ على الجانب الآخر ـ باردا، عمليا... كان قد وقع العقد وبدأ حملة إعلانات ودعاية مخيفة فى

الصحف والمجلات، بل... إن الصحف والمجلات وجدت فى شخصية هذا المغامر صاحب الصولات والجولات مادة خصبة للحديث، بل إنه استطاع ـ بذكاء شديد ـ أن يدخل إحدى دور الصحف فى أحداث الفيلم، وردت له الدار الصحفية هذه الدعاية بدعاية مماثلة، وهكذا وجد أنور وجدى نفسه أمام خصم عنيد، وفارس لايتراجع أبدا، ومع تدخل الأصدقاء، وموقف ليلى المستكين المستسلم، عاد أنور إلى البيت مع مجموعة من أصدقائه الذين جاءوا معه ليحتفلوا بعودة الحياة إلى مجاريها بين الزوجين الشابين.

كان محمد فوزى والمطرب محمد البكار ـ الذى هاجر بعد ذلك إلى أمريكا ـ من الأصدقاء الذين جاءوا بأنور إلى البيت وكان فوزى مرتبطا مع أحمد سالم بعقود لتلحين بعض أغنيات الفيلم الذى حشد له أحمد سالم عددا كبيرا من الطاقات الفنية، وكان طبيعيا للغاية أن يلتقى أنور بأحمد سالم أثناء مناقشته السيناريو مع ليلى أو أثناء بروفات أغنية من الأغنيات... وهنا، يبدو التناقض الشديد فى شخصية أنور، ذلك أن كل غضبه أنفثأ وذاب وأصبح مجرد ذكرى أو حديث، ووصل الأمر إلى حد أن أنور، كان يناقش أحمد سالم فى السيناريو، بل ويقترح عليه بعض المواقف...

وعرض فيلم «الماضى المجهول»، ونجح الفيلم نجاحا شديدا. وفكر أنور وجدى فى أن ينتج فيلما يلعب بطولته أمام ليلى مراد، و... وأحمد!!

هنا... بدأت ليلى تفكر، إنها تبدو فى تلك الفترة الغريبة من حياتها - حتى وهى تحكى أحداثها بنفسها - وكأنها متفرجة... كانت شخصية أنور طاغية، عنيفة، عاصفة.. وكانت هى مشغولة بعدد هائل من الأفلام، وعدد أكبر من العروض، ولقد أحست بسعادة خفية يوم غضب أنور وثار وغادر البيت، لأنها استشعرت فى غضبه غيرة عاطفية، لكنها يوم عرض أنور على أحمد سالم أن يلعب أمامهما فيلما جديدا، توقفت لتفكر.. هل كان أنور يغار من العقود التى تنهال عليها، أو يغار عليها هى؟!

المضحك فى الموضوع، أن أنور بدأ بالفعل فى وضع سيناريو الفيلم، فرسم لأحمد سالم شخصية «الفلن» الذى يحب ليلى، والذى تكرهه ليلى كراهية عمياء، ورسم لنفسه شخصية الشاب الطموح الطيب الذى تحبه ليلى وتعشقه... ورغم أن محمد عبد الوهاب كان قد دخل مع أنور وجدى شريكا فى ثلاثة أفلام، ورغم أن هذا الفيلم كان أول هذه

الأفلام، فإنه فشل، وقدر لعبدالوهاب أن يكون شريكا لأنور، في واحد من أجمل الأفلام المصرية، وهو فيلم «غزل البنات».

ولكن... هل كانت حياة ليلى مع أنور تدور كلها حول العمل؟!

هل كانت العاطفة بينهما مرتبطة بالفن ذلك الارتباط الذى يجعل الحديث عنها وسط ركام الأحداث صعبا؟!

الواقع أن هذا ـ إلى حد كبير ـ يبدو صحيحا... ذلك أن أنور وجدى كان فنانا من قمة رأسه حتى أطراف قدميه، كان تعامله فى الحب، يبدو وكأنه تعامل فني... وكانت عواطفه تلتهب وتبرد تبعا لسير حياته الفنية، وكان ـ أيضا ـ قد رضخ للأمر الواقع تماما، وسمح لليلى أن توقع عقودا أخرى، وأن تمثل أمام محمد فوزى وحسين صدقى وغيرهما، لكنه كان ـ إذا حدث وعملت فى فيلم لم ينتجه هو ـ يظل مجنونا ثائر الأعصاب حتى تنتهى ليلى من تصوير الفيلم.

أين ليلى فى وسط كل هذا الحديث الذى ينجرف بالفعل ليصبح حديثا عن أنور وجدى وكيف يمكن أن تتوارى شخصية فنانة مثلها خلف أحداث حياتها...؟

هنا يكمن سر ليلى مراد، سر شخصيتها، سر هذا الهدف الذى إذا ما رسمته وصلت إليه بكل السبل وبكل الطرق...

وكان هدوؤها هذا سببا فى أن يطلقها أنور ـ لأول مرة ـ من أجل الكمون؟!!!

ليس الأمر نكتة، فعندما استيقظت ذات يوم من النوم واستعدت لمغادرة البيت لتصوير بعض المشاهد لفيلم من أفلامها، وجدت البيت وكأنه مقبل على معركة... كان صوت أنور وجدى يتصاعد من المطبخ صارخا لاعنا، وكان صوت الأطباق والحلل يتطاير بين الحين والحين، ووجدت ليلى محمد البكار فى صالون البيت فسألته عن سر ثورة أنور، فأخبرها أنه يطبخ طبخة دمشقية من التى يحبها، وعادت ليلى تسأل عن السبب فى هذه الثورة، فجاءها صوت أنور من خلفها صائحا:

«البيت مافيهوش كمون ياست هانم!»

التفتت إليه ليلى هادئة، كانت تعلم علم اليقين أن الكمون ليس سببا للثورة، قالت:

«طب وإيه يعنى يا أنور، نبعت نشترى!».

وصرخ أنور:

«وإيه يعنى... طب... إنتى طالق يا ليلى!».

وبهدوء شديد خرجت ليلى من بيت الزوجية إلى فندق سميراميس... لتعيش فيه، وأصبحت فى ذلك اليوم مطلقة لأول

مرة في حياتها... كانت ليلى قد أصبحت ليلى مراد الآن... كانت قد واجهت الحياة بسلاح ضمنت تماما أنه لن ينكسر، وإذا ما كان أنور وجدى عصبيا وغيورا فهو يحبها، يحبها حقيقة، وهذه الحقيقة يشهد بها كل الذين عاصروا أنور وجدى وعرفوه وصادقوه، ولقد كانت ليلى - دون أدنى شك - تحب أنور وجدى، لكنها كانت تختلف عنه في أنها أصبحت الآن قادرة على التحكم في عواطفها. أصبحت قادرة على أن تعيش بالحب وبدونه، وفي اليوم نفسه أرسل أنور وجدى ورقة الطلاق، وفي اليوم نفسه أرسل يستدعى إبراهيم ومنير مراد - ولقد كانا يحبانه وكان يحبهما إلى درجة كبيرة - وظل طوال الليل يتحدث عنها، عن ليلى!

ولقد عادت إليه ليلى فلم يكن من السهل أبدا أن يفترقا، كانا يبدوان وكأن حياتهما - حتى الفنية - لايمكن أن تستمر وهما منفصلان، عادت إليه ليلى ليعيشا في الجو نفسه، وبالأسلوب نفسه، وكان كل يوم يمر على ليلى يزيدها شهرة وصلابة، وكان أنور يسترضيها بالسفر إلى الخارج في كل عام، إلى أن كان عام من الأعوام، سافر أنور وحده، كان المرض يشتد عليه، وكان هو في حاجة دائمة للعلاج، سافر إلى إيطاليا، ثم إلى باريس... وكانا قبل السفر قد تشاجرا،

فسافر غاضبا ، لكنه من باريس أرسل لها خطابا ملتهبا يبثها حبه، يبثها حاجته إليها، يخبرها فيه أنه مريض على شفا الموت.. ووصل الخطاب إلى ليلى وكـــانت فى الاسكندرية، فركبت القطار فى اليوم نفسه إلى القاهرة، وبعد أيام قليلة كانت تركب الطائرة إلى باريس، وفى مطار أورلى كان أنور فى انتظارها، تبدو لهفته عليها مثل مرض، كان فى تلك الليلة يحبها حتى أغرورقت عيناها بالدموع، عندما التقيا حملها من فوق الأرض وراح يدور بها فى المطار، وربما لأول مرة تشعر ليلى بالحب الحقيقى يتدفق من قلب أنور، حجز لها جناحا فى الفندق، ووضع لها برنامجا حافلا، وليوم أو يومين انجرفت ليلى فى حبها، لكن عقلها بدأ يستيقظ من جديد، كان لابد لها أن تختبر حبه حقا... ولا تدرى ليلى حتى اليوم كيف حدث ما حدث، لكنها تعلم علم اليقين، أن تلك الليلة فى باريس، كانت بداية النهاية فى علاقتها بأنور وجدى.

وبينما هما غارقان فى الحب فى تلك الليلة، قالت له:

«على فكرة يا أنور... الأستاذ عبدالوهاب اتفق معايا على فيلم جديد حايلعبه هوا».

وفى ثانية ، فى أقل من ثانية، تبدل الحال من الجنة إلى الجحيم.. كانت ليلى مراد لاتزال تحمل لعبد الوهاب ذلك

العطر القديم الذى عبق حياتها فى مطلع الشباب، ولم يكن أنور وجدى أبله أو مغفلا، ولابد أنه استشعر ذلك الميل الغامض الذى تكنه ليلى لعبدالوهاب، بل يكاد الإنسان يجزم أنه أحس هذا الأمر بوضوح.. وإذا كان أنور وجدى يغار من عملها فى أفلام أخرى، فالذى لايشك فيه إنسان أنه ـ أيضا ـ كان يغار عليها بجنون، فإذا ما اجتمع السببان معا فلا يلومن أحد أنور وجدى مهما فعل.

لكن ليلى لامته، أكثر من ذلك، بدأت تفتح عينيها أكثر على حقيقة حياتها مع أنور وجدى، بل ... وبدأت تتساءل عن تلك الخطابات الغامضة التى كانت تصله من روما أحيانا ومن باريس أحيانا.. وإذا كان هو يغار عليها فمن حقها أن تبحث خلفه... وإذا كانت الأنثى تستطيع أن تشم رائحة امرأة أخرى على بعد مئات الأميال فإن ليلى مراد تعرف كيف تكشف الأمر برمته، فى صمت، وبهدوء، وصبر طويل.

ولقد حدث...

ففى تلك الليلة ـ فى باريس ـ قررت ليلى أن تحسم الأمر كله، لكنها لم تعلن شيئا، ظلت صامتة حتى عادا إلى مصر، تقبلت ثورة أنور ـ كالعادة ـ بهدوء، ثار فناقشته، هاج فراحت تجادله... لا شيء سوى هذا، لكنها كانت تشعر أن فى الجو

امـرأة أخـرى... وظلت تبـحث ـ دون أن يشـعـر أحـد ـ حـتى عـرفت أنهـا كـانت على حق، وأن أنور غـارق ـ بالفـعل ـ فى أحـضـان عـشـيـقـة جـاءت خلفـه من باريس، ونزلت فى إحـدى عمارات القاهرة الشاهقة.

●●●

الفصل الخامس عشر

« أنا آسفة .. يا مدام !!



كانت حياة ليلى مراد مع أنور وجدى حياة عاصفة، وإذا قدر لأحد ذات يوم أن يكتب عن هذه الزيجة الفنية التى فرح لها الناس فى مصر كثيرا، وهللوا لها طويلا، فلسوف يكتشف - إذا استطاع أن يلم بكل التفاصيل - حقائق أغرب من الخيال.. سوف يكتشف مثلا أن أنور وجدى، ذلك النجم الذى تألق فى سماء السينما المصرية لسنوات طويلة، كان نموذجا غريبا من البشر، كان تركيبة من عشرات المتناقضات، كان مجنونا بالمال، لكنه لم يكن عبدا له، كان جامحا مثل ثور هائج، وكان رقيقا مثل طفل، كان يحب ليلى مراد لكنه كان يخونها!!

أما ليلى، فرغم المحاولات التى بذلت فى هذه القصة لإلقاء الضوء على شخصيتها، فلسوف تظل لفترة طويلة مثل لغز عسير الحل... كان الكتمان الذى تعودت ليلى عليه منذ نعومة أظفارها، وكان إحساسها بالحاجة إلى المال، وإحساسها الموازى بالحاجة إلى الحماية، كل هذا كان يتبلور ويتضح أشد الوضوح، فى علاقتها بأنور وجدى... ولقد استطاعت ليلى -

رغم الطلاق الذى تم بينهما فى النهاية ـ أن تسير دفة الحياة مع أنور بحذق غريب، وأن تجعل أذنا من طين وأخرى من عجين أمام الهمسات العديدة التى كانت تنفث سموم الشك فى حياتها... إن أنور وجدى «مادى» لايعرف الحب، ولم يعرف فى حياته إلا حب المال.

ولقد كانت لعودة ليلى مع أنور من باريس قصة شهيرة ومعروفة. قصة كاد أنور يحطم فيها حياة ليلى... لكنها عندما عرفت، تصرفت بذكاء وهدوء وبرود، وبدلا من أن تضيع هى تماما ، أضاعته وأربكته وحيرته.:. لم يكن مهما أن يفعل معها أنور أى شىء فى الدنيا، كان المهم فى الأمر كله ـ منذ بداية الرحلة من باريس إلى مرسيليا ثم أيام السفينة ـ تلك الرائحة التى غزت أنف الأنثى فى ليلى مراد... كانت ليلى ـ رغم الحب البادى على أنور ـ قد أحست أنه وقع فى غرام امرأة أخرى!

كيف عرفت ليلى؟!!

هذا مالايمكن أن يعرفه أحد حتى ليلى نفسها، إنه إحساس الأنثى عندما يهدد حبها دخيل مجهول... عندما تتغير فى الرجل أشياء بسيطة، شديدة البساطة، لكنها تصبح رغم صغر شأنها مؤشرات توحى بأن فى الأمر إمرأة أخرى...

وكانت ليلى على حق...

فعندما عادت إلى القاهرة، بدأت تسمع الشائعات، بدأت تلحظ الابتسامات، بدأت أذناها تلتقطان الهمسات.. شائعات وابتسامات وهمسات توحى كلها بأن أنور وجدى قد وقع فى الحب أثناء زيارته لأوربا، فتاة جميلة - شديدة الجمال - كانت القاهرة تتحدث عنها، وعن لقاء أنور بها فى فينسيا قبل ذهابه إلى باريس، وكيف لحقت به «لوسيت» - وهذا هو اسم الفتاة - فى باريس، ثم كيف سافرت وراءه إلى القاهرة.

ظلت ليلى تكذب نفسها. ظلت تتحايل على نار الشك فى قلبها أسبوعا وأسبوعين وأسابيع عدة، حتى كان يوم دعيت فيه إلى العشاء على مائدة أحد كبار الصحفيين، وكان أنور هو الآخر مدعوا لهذا العشاء... غير أن الضحكات والابتسامات والهمسات بدأت - بعد العشاء - تأخذ شكلا جعلها تكاد تقترب من الجنون، فقررت أن تحسم الأمر، وأن تعرف الحقيقة، أيا كانت هذه الحقيقة.



وعرفت ليلى الحقيقة.

عرفت أن الفتاة فرنسية، وأنها جاءت خلف أنور من باريس، وأنه استأجر لها شقة فى الزمالك... عرفت ليلى كل

هذا، وعرفت أكثر من ذلك عنوان العمارة التى استأجر أنور فيها شقة لحبيبته الجديدة.

كانت لليلى صديقة اسمها مارسيل هى زوجة عازف الكمان المشهور «يعقوب تاتيوس»، ولقد دخلت مارسيل ذات يوم على ليلى فوجدتها تبكى... كانت ليلى ـ مع نفسها ـ تضعف وتتألم... كانت ترقب أنور وهو يرتدى ملابسه قبل لقائه مع لوسيت فى صمت، بل ـ وفى بعض الأحيان ـ كانت تنتقى له رباط العنق، ولون البدلة، وتودعه حتى الباب وتتلقى منه قبلة، ثم... وعندما تصبح وحدها، تنهار ... تبكى.

مع مارسيل... اتخذت ليلى قرارها...

قررت أن تفاجىء أنور فى شقته الجديدة، قررت أن تحسم المشكلة برمتها أن تقطع الشك باليقين.

وكان مافعلته ليلى مشهدا من المشاهد السينمائية، لم يكن تصرفا عاقلا أن ترتدى ليلى مراد، المطربة الشهيرة الجميلة التى يعرفها أهل مصر جميعا... لم يكن تصرفا عاقلا منها أن تهبط الأيموبيليا وهى ترتدى «منديل بأوية وملاية لف»، تصحبها مارسيل، وتدخل الجراج، وتركب سيارتها البويك، وتأمر «خضر» السائق أن يأخذها إلى الزمالك.

حدث هذا فى أحد أيام شهر يناير، فى العاشرة مساء، والجو بارد، وعاصف، والمطر ينهمر، والسيارة تخترق شوارع القاهرة، بداخلها ليلى مراد ومارسيل، فى طريقها إلى الزمالك.

عند باب العمارة وقفت السيارة، وهبط السائق ليفتح الباب لامرأة ترتدى الملاية والمنديل... وفى السيارة انتظرت مارسيل مع خضر السائق... ودلفت ليلى إلى فناء العمارة، لم يكن هناك أحد، كان البواب قابعا فى غرفته اتقاء للبرد، ولم تكن ليلى تعرف أين يسكن أنور مع عشيقته... تقدمت من غرفة البواب ودقت الباب.

«عاوزة إيه ياست؟!»

«والنبى ياخويا تقول لى... هو سى أنور الممثل ساكن هنا؟!».

«وعاوزه إيه منه؟».

«أضل أنا ياخويا الغسالة الجديدة، وأنا دايخة على العمارة من ساعتين!».

«وحد بيجى يغسل فى وقت زى ده؟!»

«أنا جاية أتفق معاه على ميعاد!»

نظر إليها البواب طويلا، ثم أشاح عنها وهو يقول:

«الأستاذ أنور ساكن فى الدور السادس!»

وإمعانا فى التمثيل... تركت ليلى المصعد، وصعدت الدرج حتى الدور السادس... كانت ترتجف وهى تصعد، كانت تفكر فيما يمكن أن يحدث، وماذا ستفعل إذا ما واجهت أنور مع صاحبته، ووصلت ليلى إلى الدور السادس وقد تقطعت أنفاسها، وماكادت تمد يدها إلى زر الجرس، حتى سمعت ضحكات أنور فى الداخل مع لوسيت، وجمدت يدها، إنهما يتحدثان بالفرنسية، وحديثهما يصل إليها واضحا أشد الوضوح، والسلم مظلم، والبرد شديد، وليلى تنتفض من الانفعال والغيظ، هل تدق الجرس، هل تقتحم البيت، هل تتسبب في فضيحة؟!

لكنها تراجعت.

هدأت قليلا وأصوات أنور ولوسيت تصلها من الداخل.. ثم بدأت تهبط الدرج مرة أخرى... فى هدوء وبطء راحت تهبط الدرج، حتى إذا وصلت إلى الشارع، طلبت من مارسيل أن تعود إلى بيتها.. ثم تركت السائق فى السيارة واتجهت إلى جراج العمارة..

كان الجراج خاليا من السياس، وكانت سيارة أنور الكاديلاك هناك... وكانت مفتوحة، ودخلت ليلى السيارة، وجلست فى المقعد الأمامى تنتظر.

كان أنور يعود إلى البيت فى كل ليلة، لم يكن يبيت فى الخارج أبدا... وفى الخارج، فى الشارع، كان المطر مازال ينهمر والريح تصفر، وخلعت ليلى المنديل والملاية اللف، وظلت تنتظره.

وحتى الثالثة صباحا، ظلت ليلى جالسة ـ وبإصرار ـ فى السيارة.. وفى الثالثة وصلتها ضحكات أنور ولوسيت، التى نزلت لتوصل أنور وهى تصحب معها كلبها الصغير... وما أن اقتربا من السيارة حتى جمد أنور فى مكانه، كانت ليلى تجلس فى سيارته، أمامه، وكانت عشيقته بجواره.



هبطت ليلى من السيارة، وانطلقت تتحدث مع لوسيت بالفرنسية:

«آسفة يامدام، أو مدموازيل. أنا لا أعرف... لكنى فى نهاية الأمر زوجته!!»

كان مشهدا مروعا هذا الذى حدث فى الجراج... وقف أنور مذهولا لايعرف ماذا يقول. وراحت الفتاة تتلفت حولها

يمنة ويســـرة، تنظر إلى أنور تارة وإلى ليلى تارة أخـــرى، وابتسمت ليلى قائلة لأنور:

«حانفضل واقفين كده، ما تتفضلوا!!»

ثم نظرت إلى الفتاة وقالت:

«آنسة لوسيت. هل تتفضلين بالركوب!»

وأطـاعت لـوسيت، وجلست فى المقعد الخلفى، وركبت ليـلى فى المقـعد الأمـامى، ودار أنور حـول السـيارة ـ دون كلمـة ـ وجلس خلف عجلة القيادة... لم يكن أحد منهم يعرف إلى أين، كـان كل شيء يسيـر بلا هدف، وعندمـا خـرجت السـيـارة من الجراج، صاحت ليلى فى سـائق سيارتها طالبة منه أن يلحق بهم.. وراحت الســيـــارة الكاديلاك التى تضم اثنين من ألمع نجوم السينما فى مـصر، وفتاة فرنسية، وقصـة عاصفة، راحت الســيـارة تخـتـرق شـوارع القـاهرة... وفى الداخل كـانت ليلى تتـحدث بلا توقف، كانت تتـحدث مع لوسيت عن باريس، وعن فينسـيـا، وعن كـان، والكازينو العالمى الشـهير، ثم التفتت إلى لوسيت فجأة وقالت لها:

«أرجو أن يكون جو بلادنا قد أعجبك!»

وكـانت السـيـارة ـ سـاعـتـهـا بالضـبط ـ تدخل جـراج الأيموبيليا، كان أنور وجدى يبدو وكأنه منعدم تماما، وعندما التفتت ليلى نحوه وسألته:

«تحب توصلها أنت والا نخلى خضر يوصلها بعربيتى؟!»

دمدم أنور قائلا:

«لأ... خضر يوصلها أحسن!».

وعندما همت لوسيت بركوب سيارة ليلى، صافحتها ليلى بحرارة، وتمنت لها إقامة طيبة، واستدارت نحو الداخل.

والذى لاشك فيه أن أنور وجدى كان ينتظر أن تبدأ ليلى الشجار حتى ينفجر فيها، ذلك أن أنور لم يكن من هذا الصنف من الرجال الذى يضعف أمام الحقائق... غير أن ليلى كانت تعرف هذا جيدا... فلم تفتح فمها... وعندما دخلا إلى الشقة.. توجهت إلى غرفة النوم وهى تقول لأنور:

«تصبح على خيرا».

كانت الساعة قد بلغت الرابعة صباحا عندما دخل أنور وجدى غرفة المكتب وجلس فوق مقعد وثير وغرق فى التفكير، لكن ليلى ساعتها كانت تقف مع وصيفتها وقد تناثرت محتويات الغرفة تماما... كانت ـ فى هدوء شديد ـ تجمع ملابسها، وكل ما يخصها... حتى إذا انتهت من ذلك، ذهبت إلى الفراش ونامت.

نامت ليلى ساعتين أو ثلاثا فقط، كانت هادئة فى الظاهر لكنها ـ دون شك ـ كانت تغلى غليانا وقد اتخذت قرارها

النهائى، لسوف تنفصل عن أنور، ولسوف تطلب هى لأول مرة، الطلاق!

فى السابعة صباحا كانت ليلى قد ارتدت ملابسها، وجهزت حقائبها... وعندما فتحت باب غرفة المكتب كان أنور لايزال جالسا كما هو فوق المقعد، بملابسه، دون نوم... وقالت:

«أنا ماشيه يا أنور!»

والتفت إليها أنور زاهلا، وعادت تقول له:

«على فكرة أنا مش زعلانة منك، بالعكس... أنا فرحانة جدا!».

«عاوزة تقولى إيه؟!... فيه واحدة تفرح لما تضبط جوزها مع واحدة ثانية؟!»

«أصل الناس كانوا دايما يقولوا لى أنى اتجوزت واحد مالوش قلب، مايعرفشى يحب غير الفلوس، لكن أنا كنت باقول أن لك قلب، وطلعت أنا صح!».

«إنت فاكرة نفسك مين؟... شكسبير؟!»

«ولا شكسبير ولاحاجة، أنا باقول لك اللى أنا حاسة بيه... أشوف وشك بخير!».

وكان هذا هو المشهد الختامى فى قصة حياة أنور وجدى وليلى مراد... وربما كان هو المشهد الختامى لقصة نجمين من نجوم السينما فى مصر... فإن أنور وجدى لم يقدر له أن

يعيش طويلا.. فلقد اشتد عليه المرض وتزوج... أما ليلى مراد لقد تزوجت هى الأخرى... لكنها كانت قد سئمت الفن، وسئمت الإحساس بالمسئولية، كانت تتوق لأن تصبح زوجة وأما... وقد أصبحت زوجة وأما، وعادت من جديد تحمل مسئولية العائلة.. ولقد مضى منذ ذلك اليوم الذى افترقت فيه عن أنور وجدى ذات صباح باكر فى إحدى شقق عمارة الأيموبيليا قرابة عشرين عاما... لكن الغريب فى الأمر، أن القصة بقيت، ظلت تعيش رغم الطلاق والموت، رغم حكايات أيام كانت تدور بعيدا عن كواليس السينما... ظلت قصة ليلى مراد وأنور وجدى تذكر الناس بأيام مضت، فى أفلام لاتزال تحمل دفء قصة حب، ومغامرة... وفى أغنيات مازال الناس رغم مرور كل هذه السنوات، يعشقونها، ويستمعون إليها، ويطربون لها، لقد كانت قصة حب، تركت علامة على الطريق.

●●●

رقم الإيداع

٩٥ /١٠٧٩٠

I. S. B. N

977 - 07 - 0435 - 0

فهرس

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ٣٦ جنيها داخل ج . م .ع تسدد مقدما نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٠ دولارا - امريكا واوربا واسيا وافريقيا ٤٠ دولارا - باقى دول العالم ٥٠ دولارا .

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لآمر مؤسسة دار الهلال ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

هذا الكتاب

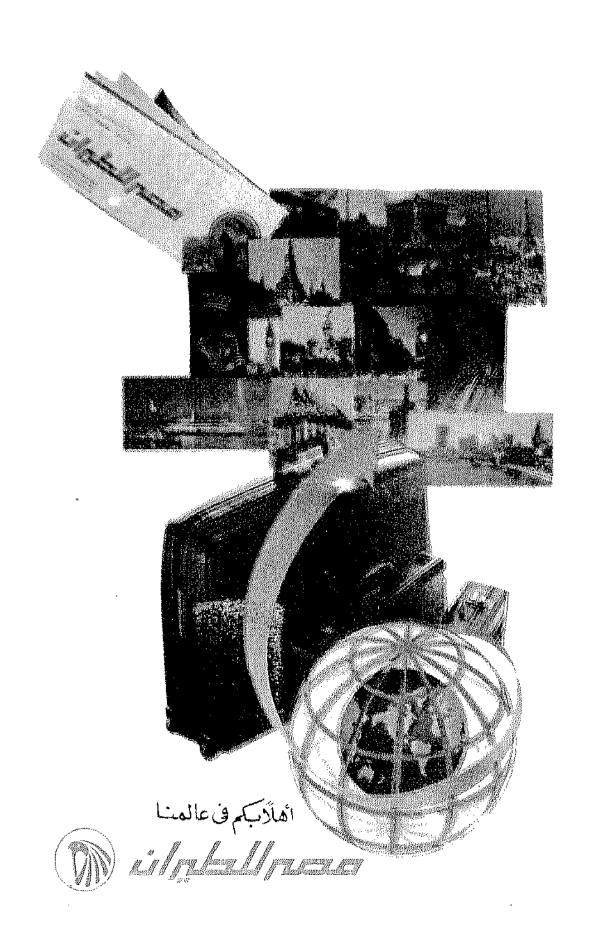


صالح مرسى وليلى مراد ، يلتقيان على صفحات كتاب الهلال ، ليلي مراد ، قيثارة الغناء العربى ، والتى هزت الوجدان فى غادة الكاميليا .. وصالح مرسى .. الكاتب المبدع، أديب البحر بكل ما فيه من سحر وغموض ، وأديب التجسس الذى جعل من مغامرات التجسس نبعا للحس الوطنى ، والتضحية من أجل مستقبله ، وأصبحت رواياته مدرسة للوطنية الصادقة ، وأطل على حياتنا الفنية ليقدم أجمل ما فيها ، عندما اقتحم عزلة ليلى مراد وكتب مذكراتها فى السبعينيات ، كما كتب بقلمه الرشيق حياة تحية كاريوكا .

زرعت ليلى مراد فى الوجدان أرق المشاعر ، وجسد صالح مرسى أسرار هذه الفنانة وحياتها بكلمات رشيقة ساحرة .

وعلى صفحات كتاب الهلال تلتقى الكلمة والقيثارة في نغم جميل ، وتبقى أغانى ليلى مراد وأفلامها رمزا للرومانسية أجيالا متتابعة .

فهل هناك كتاب أكثر جاذبية من ذلك الذى يلتقى فيه كل من صالح مرسى وليلى مراد .. ؟!



أهلاً بكم فى عالمنا
مصر للطيران

